الشهيد عبدالقادر عودة

المال والحكم في الإسلام



كتاب المختار
أسسه حسين عاشور عام ١٩٧٩
٣ حارة الجمل - المتفرعة من ميدان السيدة زينب - تليفون وفاكس ٣٩٢٢١٥١
ص ب ١٧٠٧ القاهرة - الرمز البريدى ١١٥١١

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أولئك هم المفلحون » ٠

(آل عمران : ١٠٤)

« قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنـــا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » ٠

(يوسف : ١٠٨)

من نور كتاب الله

﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾

﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ﴾

﴿ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا ﴾

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى * وادخلى جنتى ﴾

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾

تقديم المؤلف

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الذى أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون .

« وبعد » فان المسلمين فى كل أنحاء العالم قد جهلوا الاسلام وانحرفوا عن طريقه الواضح ، حتى لم يعد فى الدنيا كلها بلد يقام فيه الاسلام كما أنزله الله ، سواء فى الحكم والسياسة ، أو الاقتصاد والاجتماع ، أو غير ذلك مما يمس مصالح الافراد والجماعات ، ويقوم عليه نظام الجماعة ، ويدعو الى صلاحها واسعادها .

ولقد ظل المسلمون ينحرفون عن الاسلام حتى هجروا أحكامه ، ثم اتخذوا لأنفسهم أحكاما تقوم على أهوائهم ومنافعهم ، فأدى ذلك الى التحلل والفساد ، وملأ بلادهم بالشرور والآثام ، وعاد على جماعتهم بالبؤس والشقاء .

وفى ظلال هذه المحنة التى امتحن بها الاسلام نبت دعاة الاسلام الحقيقيون فدعوا الناس الى الاسلام الصحيح ، وربوا الشباب عليه ، وجعلوا كل مسلم داعية الى الاسلام بعمله وقوله وسيرته ، وصبروا على ما امتحنوا به حتى فتح الله عليهم ، فانتشر الوعى الاسلامى ، وتيقظ المسلمون ، وتحقق ذوو البصائر أن لا حياة للمسلمين بغير الاسلام ، وأن صلاح حالهم وسعادة جماعاتهم لن تكون الا اذا رجعوا للاسلام وأقاموا أمرهم عليه ، وحكموه فى كل شؤونهم .

والمسلمون اليوم أحوج ما يكونون الى معرفة حقائق الاسلام وقد تكالب عليهم الاستعمار والشيوعية ، وزينت لهم الديمقراطية والاشتراكية ، ليعلموا أن لا عاصم لهم من الاستعمار والشيوعية الا الاسلام ، وأنه لا يحقق العدالة والمساواة فى بلادهم الا الاسلام .

وواجب كل مسلم مستطيع أن يبين للمسلمين ما خفى عليهم من أحكام الاسلام ، وأن يعرضه عليهم فى لغة سهلة يفهمونها ، وفى أسلوب عصرى يقبلون عليه .

وانى لارجو أن أكون قد قدمت للمسلمين فى هذا الكتاب ما يجب أن يعلمه كل مسلم عن نظرية الاسلام فى الحكم ، وأسلوبه فى الشورى ، كما أرجو أن يعلم المسلمون بعد الاطلاع على هذا الكتاب أن أسلوب الاسلام فى الحكم هو خير ما عرفه العالم وأن كل نظريات الشورى الوضعية ليست شيئا يذكر بجانب نظرية الاسلام .

والله أسأل أن يوفقنا جميعا الى الخير ، وأن يجمع كلمتنا على الاسلام .

عبد القادر عوده

الخلق والتسخير

* هذا الكون خلقه الله
* هذا الكون مسخر للبشر
* البشر مسخر بعضهم لبعض

هذا الكون خلقه الله

هذا الكون الذى نعيش فيه ونعمره ، ونتسلط على ما فيه من حيوان ونبـــات وجمـــاد ، ونحـاول أن نحصـل على ما فيه من خيرات ، ونستغل ما فيه من قوى ، هذا الكون ليس من صنع البشر ولا من عمل أيديهم ، وما فى استطاعتهم خلقه ولا خلق ما دونه ، وما كانوا فى يوم من الايام أهلا لذلك ولن يكونوا ، فما هم الا بشر خلقهـم خالـق كل مخلوق ، ﴿ **بل أنتم بشر ممن خلق** ﴾ (المـائـدة : ١٨) ومـا فى قدرة المخلوقـات أن تخلق ولو تظاهرت على الخلق ، ولو اجتمع كل البشر على أن يخلقوا أحقر الذباب وأضعفه لعجزوا ، ولو سلبهم أضعف الذباب وأحقره شيئا لما منعوه عنه ولا استنقذوه منه ﴿ **إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب** ﴾ **الحج : ٧٣ .**

هذا الكـون الـذى نعيش فيه ونعمره خلقه الله الذى خلق الناس من تراب ثم سواهم بشرا وصورهم ذكورا واناثا فأحسن

صورهم وجعل لهم السمع والابصار والافئدة لعلهم ينظرون ويتفكرون فيذكروا نعمة الله عليهم ، ويشكروه على ما خلقهم ورزقهم وأسبغ عليهم من فضله ﴿ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا ﴾ (فاطر : ١١) . **﴿ يأيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك ﴾** (الانفطار : ٥ ـ ٨) **﴿ وصوركم فأحسن صوركم ﴾** (غافر : ٦٤) **﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ﴾** (النمل : ٧٨) .

هذا الكون الذى نعيش فيه خلقه الله جل شأنه خالق كل شيء مما نعلم ومما لا نعلم ، وما ندرك ومما لا ندرك ، ومما نستطيع تصوره ومما نعجز عن تصوره والاحاطة بكنهه **﴿ ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه ﴾** (الانعام : ١٠٢) .

فهو الذى خلق السموات والارض وما فيهما من مخلوقات وما بينهما من اجرام لا يحيط بها العلم ، ولا يدركها الوصف ، ولا يحصيها العد ، وهو القادر على أن يخلق غيرها ان شاء ، اذ الخلق

متعلق بمشيئته ، وراجع لأمره ﴿ **ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء** ﴾ (المائدة : ١٧) ﴿ **لله ملك السموات والأرض وما فيهن** ﴾ (المائدة : ١٢٠) .

وهو الذى خلق الازواج كلها من النبات والحيوان والانسان ، ومما نحيط بعلمه ومما لا نعلم عنه شيئا ، ورتب على اتصالها اللقاح والاحبال فالاثمار والانسال حفظا للنوع واستبقاء للحياة ﴿ **سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون** ﴾ (يس : ٣٦) .

وهو الذى جعل الظلمات والنور ، وخلق الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وهو الذى ربط الظلمات بالليل ، والنور بالنهار . وجعل الشمس دليلا على النهار وجعل القمر والنجوم لنهتدى بها فى ظلمات البر والبحر ﴿ **الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور** ﴾ (الانعام : ١) ﴿ **هو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر** ﴾ (الأنبياء : ٣٣) .

وهو الذى خلق الموت والحياة ، وجعل بعد الموت البعث والنشور ليبلو الناس فيما آتاهم وليجزيهم بما كانوا يعملون

﴿ الـذى خلق المـوت والحيـاة ليبلوكـم أيكـم أحسن عمـلا ﴾ (الملك : ٢) .

هذا الكون مسخر للبشر

والله الذى خلق هذا الكون قد سخره لخدمة البشر وسلطهم عليه بما وهبهم من أبصار وأسماع وعقول تُساعدهم على استخدام ما فى الكون من خيرات ، واكتشاف ما فيه من قوى ، واستغلال ذلك كله فى سبيل نفعهم واسعاد أنفسهم **﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾** (لقمان : ٢٠) .

فالله قد سخر للبشر ـ وهم يعيشون على وجه الأرض ـ كل ما فى السمـوات وما فى الارض ، وكل ما فى بالبر وما فى البحر ، فالسحاب مسخر لخدمتهم يحمل الماء المتجمع من البحار والانهار ثم يرسله مطرا يحيى به الارض بعد موتها ، وينبت فيها من كل الثمـرات رزقا للعباد ، والبحار والأنهار مسخرة لخدمة البشر ، منها يتكون السحاب ، وعلى مائها يعيش النبات والانسان وكل الحيوان ، وعليها تسير الفلك تحمل الناس الى بلد لم يكونوا بالغيه

بغيرها ، وفى أعماقها تعيش مخلوقات أخرى يتخذ منها الناس طعاما وحلية ، والشمس والقمر مسخران لخدمة البشر ، يمدان الكون بالضوء والحرارة ، وهما ضرورتان من ضرورات الحياة ، وكل ما فى الكون من صغير وكبير ، ومعلوم ومجهول ، مسخر لخدمة البشر ، لهم الحق فى استطلاع أسراره والسيطرة عليه ، واستغلال منافعه ما استطاعوا لذلك سبيلا ، فالكون مذلل لهم باذن الله ، وهم مسلطون عليه بأمر الله « **الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، وسخر لكم ما فى السموات والأرض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » **الجاثية ١٢ ، ١٣ مثلها** « **الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار** » .

ابراهيم : ٣٢ — ٣٤

البشر مسخر بعضهم لبعض

واذا كان الله جل شأنه قد سخر الكون للبشر ، فانه قد سخر بعض البشر لبعض ليستطيعوا أن يعيشوا فى جماعة منظمة متعاونة ، وليكونوا أقدر على استغلال الكون المسخر لهم والانتفاع بخيراته ، والمساهمة فى بناء حياة انسانية مرضية ﴿ **نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون** ﴾ (الزخرف : ٣٢) .

وما سخر الله بعض البشر لبعض الا لتتم حكمته فيهم وليبلوهم فيما آتاهم ، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها ومن كفر فعليه كفره ، ومن آمن نفعه ايمانه : ﴿ **وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم** ﴾ (الانعام : ٦٥) ﴿ **هو الذى جعلكم خلائف الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا** ﴾ (فاطر : ٣٩) .

ولم يجعل الله تسخير بعض البشر لبعض قائما على التحكم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وانما ربط التسخير بطبائعهم وظروف امكانهم ، فجعلهم درجات بما اختلفوا من قوة وضعف ، وعلم وجهل ، وجد وخمول ، وغير ذلك من وجوه الاختلاف المشتقة من طبائعهم ومعارفهم وظروفهم وبيئاتهم ، ولن يمنع ذلك من كان فى درجة دنيا أن يرتفع بعمله وايمانه الى درجة أعلى من درجته وأن يصل الى القمة فى عشيرته وأمته ، فان العبرة فى الاسلام بالاعمال والايمان ، ولن يضيع الله عمل مؤمن : ﴿ **انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى** ﴾ (آل عمران : ١٩٥) . مادام العامل قد أحسن عمله ووصل به الى درجة الاحسان : ﴿ **انا لا نضيع أجر من أحسن عملا ؟** ﴾ (الكهف : ٧٠) .

ولقد آلى الله على نفسه ليحيين حياة طيبة كل من عمل عملا صالحا وهو مؤمن فقال جل شأنه : ﴿ **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ (الأنعام : ١٣٢) . ودعا الله المؤمنين الى العمل وحثهم عليه : ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾ (التوبة : ١٠٥) . ورتب على العمل درجاتهم ، فمن رفعه العمل فلا يحطه شىء ومن حطه العمل فلا يرفعه شىء : ﴿ **ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون** ﴾ (الانعام : ١٣٣) .

الاستخلاف في الارض

* البشر مستخلفون فى الأرض
* استخلاف البشر مقيد بقيود .
* أنواع الاستخلاف
* سنة الله فى استخلاف الحكم .
* أمثلة من المستخلفين السابقين
* مركز المستخلفين فى الأرض
* واجبات المستخلفين فى الأرض
* جزاء تعدى حدود الاستخلاف

البشر مستخلفون فى الأرض :

ولقد خلق لله البشر من الأرض واستعمرهم فيها : « هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها » هود : ٦١ . فلا حرج أن نقول ان مكان البشر فى الأرض هو مكان المستعمر فيها ، المسلط عليها ، وان الأرض بما فيها مسخرة لهم ، مذللة بإذن ربهم ، وان حقوقهم وواجباتهم يحددها الله الذى استعمرهم فى الأرض ، ومنحهم حق التسلط عليها ، ولكننا نفضل أن نصفهم بصفة الاستخلاف التى وصفهم بها الله أكثر من مرة .

والقرآن صريح فى أن الله جل شأنه خلق آدم أبا البشر ليكون خليفة فى الأرض « **واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون** » **البقرة : ٣٠ .**

والمفسرون مختلفون فى ماهية خلافة الآدميين [1] فالبعض يرى أن الآدميين خلفوا جنسا سابقا كان يسكن الأرض فأفسد فيهاوسفك الدماء،ومن ثم فالخلافة على هذا الرأى خلافة جنس سابق . والبعض ، يرى أن الخلافة عن الله جل شأنه ، لا عن جنس آخر ، وأن الله سلط الانسان على الأرض يقيم فيها سننه .

(١) تفسير المنار جـ١ صـ ٢٥٧ – ٢٦١ .

ويظهر عجائب صنعه ، وأسرار خليقته ، وبدائع حكمه ، ومنافع أحكامه ، وسنرى فيما بعد أن هذا الاختلاف لا أهمية له فى بحثنا .

استخلاف البشر مقيد بقيود

ولا جدال فى أن الله أوجب على البشر حين أسكنهم الارض أن يطيعوا أمره وأن ينتهوا بنهيه ، وأنه عهد اليهم ألا يعبدوا الا اياه ، وألا يخشوا غيره وأن يتحلوا بالتقوى ، وأن يحذروا فتنة الشيطان ، وأعلمهم أن من اتبع هدى الله فقد اهتدى ، ومن كفر بآيات الله وكذب برسله فقد ضل وغوى ، وأنه جعل للمهتدين الأمن ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وجعل للكافرين المكذبين النار هم فيها خالدون ، ﴿ **قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ (البقرة : ٣٨ ، ٣٩) . ﴿ **قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين ، قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون . يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون . يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا**

يؤمنون . واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا آباءنا والله أمرنا بها ، قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون . قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون . فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ (الاعراف : ٢٤ ، ٣٠) .

وغدا يحاسب الله البشر على زيغهم وضلالهم ، وعلى تركهم طاعة الله واتباعهم الشيطان ، ويسألهم فلا يجدون لأنفسهم حجة ، ثم يقذف بهم أفواجا الى النار يصلون حرها جزاء ما عصوا الله وكفروا بآياته ولم يقوموا بعهده ﴿ **ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين ، وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ، ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون ، هذه جهنم التى كنتم توعدون ، اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون** ﴾ (يس : ٦١ ، ٦٥) .

أنواع الاستخلاف

واستخلاف البشر فى الارض نوعان : استخلاف عام ، واستخلاف خاص .

فالاستخلاف العام هو استخلاف البشر فى الارض باعتبارهم مستعمرين فيها ومسلطين عليها ﴿ **هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها** ﴾ (هود : ٦٢) ، وقد بدأ هذا الاستخلاف بآدم

عليه السلام ومن بعده كل ذريته فهم جميعا مستعمرون فى الأرض ، استعمرهم الله جل شأنه فيها ، وسخرها لهم وسلطهم عليها باذنه ﴿ **واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ (البقرة : ٣٠) .

والاستخلاف الخاص هو الاستخلاف فى الحكم ، وهو نوعان : استخلاف الدول واستخلاف الافراد ، والاستخلاف فى الحكم هو بنوعيه منة أخرى يمن الله بها على من يشاء من عباده أمما وأفرادا بعد أن من عليهم جميعا بنعمة الاستخلاف فى الارض ﴿ **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ، ونجعلهم الوارثين** ﴾ (القصص : ٥) ، ﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾ (السجدة : ٢٤) .

واستخلاف الدول معناه الاول تحرير الامة واستقلال بحكم نفسها وجعلها دولة لها من السلطان ما يحمى مصالح الأمة ويعلى كلمتها ، ومعناه الثانى اتساع سلطان الدولة حتى يشمل فوق أبناء الامة أمما وشعوبا أخرى .

واستخلاف الدول اذا كان باذن الله وبأمره منة يمن بها على الامم ، الا أن للاستخلاف مسبباته التى تباشرها الامم والشعوب فتؤهلهم للاستخلاف ، وتمكن لهم فى الأرض ، وتتم بذلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنته تحويلا . فلا يمكن أن يجىء الاستخلاف اعتباطا وبلا عمل ، وانما يجىء نتيجة العمل

الشاق والجهد المستمر ، ولقد وعد الله جل شأنه الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف فى الارض ، فلم يجعل الايمان وحده هو الذى يرشح المؤمنين للاستخلاف ، وانما وعد المؤمنين بالاستخلاف اذا عملوا الصالحات ، والمقصود بالصالحات كل ما يصلح شأنهم فى الدنيا من الاعداد والاستعداد والتفوق ، وما يصلح شأنهم فى الآخرة من الطاعة واجتناب المعاصى . ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم** ﴾ (النور : ٥٥) .

واستخلاف الافراد هو الاستخلاف فى الرئاسة وقد يسمى المستخلف خليفة كما سمى داود عليه السلام ﴿ **ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** ﴾ (ص : ٢٦) .

وقد يسمى المستخلف اماما كما سمى ابراهيم عليه السلام وبعض رؤساء بنى اسرائيل . ﴿ **واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن ، قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين** ﴾ (البقرة : ١٢٤) ، ﴿ **وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين** ﴾ (الانبياء : ٧٣) .

وقد يسمى المستخلف ملكا ﴿ **واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا**

وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين ﴾ (المائدة : ٢٠) ، ﴿ وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ﴾ (البقرة : ٢٤٧) .

سنة الله فى استخلاف الحكم

وسنة الله جل شأنه فى استخلاف الدول والافراد أن يستخلف الامة ما كانت أهلا للاستخلاف ، وأن يستخلف الافراد لما كانوا أهلا لذلك ، يبتليهم جميعا فيما آتاهم . ﴿ **وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم** ﴾ (الانعام : ١٦٥) . فان استقام المستخلفون على أمر الله ، ودعوا اليه ، وعبدوه وحده لا شريك له ، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وفعلوا الخيرات ، واجتنبوا السيئات ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴿ **الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور** ﴾ (الحج : ٤١) ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ (السجدة : ٢٤) ﴿ **وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين** ﴾ (الانبياء : ٧٣) ، اذا فعل المستخلفون ذلك مكن الله لهم فى الارض ، وآتاهم من كل شيء سببا ، كما مكن لذى القرنين وقومه ﴿ **انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شيء سببا** ﴾ (الكهف : ٨٤) ، وكما مكن ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء مما لم يكن يحلم به أو يتخيله ﴿ **وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء** ﴾ (يوسف : ٥٦) وكما مكن لبنى

اسرائيل فى الارض على ضعفهم وقوة أعدائهم ، بعد أن عبدهم الفراعنة واستعبدوهم ، وساموهم سوء العذاب يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ، فمنحهم الله جل شأنه القوة وبوأهم السلطان ، ورزقهم من الطيبات ، وجعل فيهم النبوة والملك ، وآتاهم مالم يؤت أحدا من العالمين ﴿ **ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات** ﴾ (يونس : ٩٣) ﴿ **ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين** ﴾ (المائدة : ٢٠) ، وكما مكن لقوم يونس لما آمنوا فأصلح لهم أحوالهم فى الحياة الدنيا ومتعهم الى حين ﴿ **فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين** ﴾ (يونس : ٩٨) .

والله جل شأنه غنى عن العالمين ، رحيم بهم ، فاذا أمرهم أن يأتوا أو يدعوا فانما يأمرهم بما فيه صلاحهم ، وبما يؤدى الى نفعهم ، وهو القادر على أن يذهب بالمكذبين ويستخلف أناسا غيرهم ، ولن يعجزه ذلك وقد جاءوا من ذرية غيرهم . ﴿ **وربك الغنى ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين** ﴾ (الانعام : ١٣٣) .

وما استتقام المستخلفون فى الارض على أمر الله فهم عند وعد الله لهم فى تمكين وعزة ، يأتيهم رزقهم رغدا من كل مكان ، حتى اذا ما كفروا بأنعم الله وكذبوا بآياته ، وخرجوا على ما أرسل

به رسله ، وظلموا وبغوا وافتتنوا بالقوة والسلطان والعلم أخذهم الله بغتة وهم لا يشعرون ، فسلبهم نعمتهم ، وأذهب دولتهم واستخلف غيرهم ، ولم تغن عنهم عقولهم ولا علومهم ولا أموالهم من شىء ، لما جاء أمر ربك وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴿ **ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين ، ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون** ﴾ (يونس : ١٣ ، ١٤) ، ﴿ **ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من قرن مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين** ﴾ (الانعام : ٦) ، ﴿ **ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شىء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون** ﴾ (الاحقاف : ٢٦) .

أمثلة من المستخلفين السابقين

ولقد ضرب الله لنا من الامثلة ما فيه مزدجر ، وبين لنا من أخبار السابقين ما فيه غناء لكل ذى لب ، فهؤلاء قوم نوح كذبوه واستضعفوه ومن معه فاستخلف الله هؤلاء الضعفاء وأهلك الاقوياء الذين غرتهم قوتهم وحملهم الغرور على تكذيب آيات الله



﴿ فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾ (يونس : ٧٣) .

وهـذا هود يدعـو قومـه عادا ويذكـرهم ما حدث لقوم نوح ويخوفهم منه فيقول لهم : **﴿ واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴾** (الاعراف : ٦٣) . أى اذكروا كيف استخلفكم الله فى الارض بعد أن أهلك قوم نوح بمثل ما تفعلون ، فلما يئس من اصلاحهم قال لهم : **﴿ فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربى على كل شىء حفيظ ﴾** (هود : ٥٧) .

وهذا صالح يذكر قومه بما أنعم الله عليهم ، وجعلهم خلفاء من بعـد عاد ، ويحـذرهم عاقبـة البغى والفسـاد فى الارض **﴿ واذكـروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ﴾** (الأعراف : ٧٤) .

وموسى يشكو له قومه ما نالهم من أذى فرعون ، وما أصابهم من بغيه وبـطشـه ، فيبشرهم بأن سنة الله لا بد آتية ، ويظهر خشيته من أن تأتيهم نعمة الله فيكفروا بها ويفعلوا ما كان يفعله غيرهم من المعاصى **﴿ قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون ﴾** (الاعراف : ١١٩) .

وقارون وفرعون وهامان ، تجبروا فى الارض واستكبروا بغير الحق ، ونسوا نعمة الله عليهم ، فلم ينفعهم ما يملكون وما يعبدون من دون الله شيئا ، وأخذهم الله بذنوبهم ، فمنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفت به الارض ، ومنهم من أغرق ﴿ **وقارون وفرعون وهامان ، ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ (العنكبوت : ٣٩ ، ٤٠)

مركز المستخلفين فى الارض

علمنا أن الله جل شأنه استخلف البشر فى الارض ، وسخر لهم ما فى السموات والارض جميعا والزمهم أن يتبعوا هداه وأن يطيعوا أمره وينتهوا بنهيه ، ومقتضى ذلك أن الاستخلاف فى الارض رتب للبشر حقوقا وألزمهم واجبات ، فاذا أردنا أن نحدد مركز المستخلفين فى الارض فينبغى أن نعرف معنى الاستخلاف اللغوى وأن نستخرج معناه الفقهى .

والاستخلاف لغة هو اقامة خلف يقوم مقام المستخلف أو مقام الغير على شىء ما ، فاذا طبقنا هذا المعنى اللغوى على استخلاف الله جل شأنه لآدم وذريته فى الارض قلنا إن البشر إما خلفاء الله أو لغيره .

وهـذه النتيجـة هى التى انتهى اليها المفسرون فى تفسيرهم لقـولـه تعالى **﴿ واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفـة قالـوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبـح بحمـدك ونقـدس لك قال انى اعلم مالا تعلمـون ﴾** (البقرة : ٣٠) . فبعض المفسرين كما قلنا من قبل يرى أن البشر خلفوا خلقا آخر كان يسكن الارض فأفسد فيها وسفك الدماء والبعض يرى أن الخلافة عن الله جل شأنه لا عن خلق آخر .

ولكن الكثـيرين لا يجيزون أن يقـال لبشر خليفـة الله ، وحجتهم انه انما يستخلف من يغيب أو يموت ، والله لا يغيب ولا يموت ، كما يحتجون بأن أبا بكر قيل له يا خليفة الله فقال « لست خليفة الله ولكنى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم » بينما يجيز غيرهم أن يقال لبشر خليفة الله مادام قائما بأمر الله فى خلقه ، ولقوله جل شأنه **﴿ وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفـع بعضكم فوق بعض درجـات ﴾** (الانعام : ١٦٥) . ولا شك أن الرأى الأخير هو الاصح ، فما ينبغى أن يقاس بالبشر من ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، واذا كان شأن البشر أن يستخلفوا فى الغيبة والموت فان من شأن الله أن يستخلف وهو شاهـد لا يغيب حى لا يمـوت ويكفى قولـه **﴿ انى جاعل فى الارض خليفة ﴾** وقوله **﴿ هو الذى جعلكم خلائف الارض ﴾** ليجوز القول بأن البشر خلفاء الله خصوصا وأنه استخلفهم فى

ملكـه وسخـره لهم ﴿ **لله ملك السموات والارض وما فيهن** ﴾ (المائدة : ١٢٠) ﴿ **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه** ﴾ (الجاثية : ١٣) .

واذا صح هذا فلا يهمنا أن نتحقق مما اذا كان البشر خلفوا خلقا سابقا عليهم أم لا ، لان هذا الخلق السابق انما استخلفه الله فى الارض كما استخلف البشر فاذا خلف البشر من كانـوا خلفـاء الله فالبشر قد صاروا بذلك خلفاء لله أيضا ، ومن ثم ننتهى فى كل الاحـوال الى أن خلافة البشر عن الله جل شأنه وليست من غيره .

أما معنى الاستخلاف الفقهى فهو النيابة أو القوامة بحسب مدركات البشر الفقهية ذلك أن الله استخلف البشر فى الارض بقوله ﴿ **انى جاعل فى الارض خليفة** ﴾ وقد حدد الله جل شأنه وظيفة البشر فى هذا الاستخلاف بقوله ﴿ **هو أنشأكم من الارض واستعمـركم فيها** ﴾ **هود : ٦١) . والاستعمار معناه التمكين والتسلط وهذان المعنيان ظاهران فى قوله تعالى** ﴿ **ولقد مكناكم فى الارض وجعلنـا لكم فيهـا معـايش قليـلا ما تشكـرون** ﴾ (الاعـراف ١٠) . وقـوله ﴿ **الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** ﴾ (الحج : ٤١) . وقوله ﴿ **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه** ﴾ (الجاثية : ١٣) .

والبشر فى تسلطهم على الكون وانتفاعهم بما سخر الله لهم من

مخلوقات مقيدون بطاعة الله والاهتداء بهديه والابتعاد عما نهى عنه .

﴿ فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (البقرة : ٣٨) . **﴿ ألم أعهد اليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ﴾** (يس : ٦١ ، ٦٢) .

والبشر بعد ذلك ليسوا الا بعض ما خلق الله **﴿ الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾** (الروم : ٤٠) . خلقهم من تراب وجعلهم بشرا ينتشرون فى الارض . **﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ﴾** (الروم : ٢٠) وما خلقهم الا ليعبدوه حق عبادته **﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾** (الذاريات : ٥٦) وسماهم عباده وعبيده ، وهو القاهر فوقهم ، يجزيهم بما قدمت أيديهم ، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها **﴿ وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴾** (الانعام : ١٨) **﴿ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴾** (فصلت : ٤٦) .

فاستخلاف البشر فى الارض معناه أن الله جل شأنه أسكنهم الأرض واستعمرهم فيها ومنحهم حق التسلط على ما فى الكون للانتفاع بما فيه من خيرات فى حدود أمر الله ونهيه ، واذا كان الله قد اسكن عبيده فى أرضه وسخر لهم ما فى الكون منحة منه فان ما فى أيدى هؤلاء العبيد من ملك الله انما هو من الناحية الفقهية

عارية ينتفع بها البشر ، والقيام على العارية فى فقه البشر نيابة ، وان كانت نيابة العبد عن ربه والمملوك عن مالكه ، واذن فكل فرد من أفراد البشر يعتبر نائبا عن ربه جل شأنه فيما سخر الله للبشر من الكون وما سلطهم عليه وهو مقيد فى كل تصرفاته بحدود هذه النيابة .

وهكذا لا يكاد معنى استخلاف البشر فى الأرض لغة يختلف عنه فقها ، ونتيجة ذلك أن مركز المستخلفين فى الأرض هو مركز الخليفة أو النائب ، وان الخلافة أو النيابة هى عن الله جل شأنه ، وهى قائمة فى حدود ما سخر الله للبشر من مخلوقاته وما سلطهم عليه من ملكه ، وما خولهم فى ذلك كله من الاستغلال والانتفاع .

ويجب أن لا يفوتنا أن تسخير الكون للبشر وتسليطهم على ملك الله لا يخرج هذا الذى سخر لهم وسلطوا عليه من سلطان الله ولا يحد هذا السلطان شيئا ، فالبشر مثلا يحرثون الأرض ، ويلقون فيها الحب ولكنهم يرجون الانبات والاثمار من الله ، وما يحرثون ويلقون الحب الا بما منحهم الله من حياة ، وبما ركب فيهم من عقول ، وبما علمهم من علم ، فهم يستخدمون نعمة الله للانتفاع بنعمة الله ، وما لهم فى ذلك من سلطان الا سلطانا منحهم الله اياه .

ويستخلص من النصوص السابقة أن كل عمل خارج عن حدود الله هو عمل باطل بطلانا مطلقا ولا أثر له من الوجهة الشرعية ، سواء كان العمل حاصلا من مؤمن أو كافر ومن معترف بالله أو منكر له ، وليس لمسلم أن يعترف بهذا العمل أو يصححه أو يقوم بتنفيذه ، أيا كان نوع العمل حكما كان أو ادارة أو سياسة أو اقتصادا أو تثقيفا أو غير ذلك ، وسواء كان تصرفا شرعيا أو فعلا ماديا ، وسواء وقع فى دار الاسلام أو فى دار غيره .

ذلكم هو حكم الاسلام الذى جعله الله للناس دينا : ﴿ **إن الدين عند الله الاسلام** ﴾ (آل عمران : ١٩) . وأعلمهم انه لا يقبل منهم التدين بغيره : ﴿ **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه** ﴾ (آل عمران : ٨٥) . ودعاهم الى أن يتمسكوا به ويموتوا عليه : ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ (آل عمران : ١٠٢) .

لهم دينهم الـذى ارتضى لهم وليبـدلنهم من بعـد خوفهم أمنـا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ﴾ (النور : ٥٥) .

وبين الله لنا واجبات المستخلفين فى الحكم فى أخصر عبارة وأجمعها فقال : **﴿ الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور ﴾** (الحج : ٤١) . فمن واجبات المستخلفين فى الحكم دولا وأفرادا أن يقيموا الصلاة ، ولا يقيمها الا مؤمن يعترف بأن لا اله الا الله وأن محمـدا عبده ورسوله ، وهذا الاعتراف يقتضى واجبات لا حصر لها .

ومن واجبـات المستخلفين فى الحكم ايتاء الزكاة ، ولا يؤتى الزكاة الا مؤمن يسلم بما عليه من واجبات ، ويعترف بما فى ذمته للغير من حقوق .

ومن واجبات المستخلفين فى الحكم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر الا من استقام على أمر الله ، وتمسك بحبله ، وحرص على طاعته .

وقد اقتصرت الآية على هذه الواجبات الثلاثة ، لأن توفرها دليل على توفر غيرها مما يوجبه الاسلام ، فاقام الصلاة فى الامة دليل على الايمان والطاعة ، وايتاء الزكاة دليل على أخذ النفس بالحق ورد الحقوق لاربابها ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر دليل على الاستمسـاك بما أمـر الله ودعـوة الغير اليه كفهم عن الفسوق والعصيان .

والمستخلفون فى الحكم ليسوا الا بشرا مستخلفين فى الأرض فاذا وجب عليهم كحاكمين أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر فانه يجب عليهم كبشر مستخلفين في الأرض أن يطيعوا الله ويهتدوا بهديه ، وينتهوا عما نهى عنه .

ونخلص من كل ما سبق أن المستخلفين فى الأرض سواء كان استخلافهم عاما أو خاصا عليهم واجبات عديدة تدخل كلها تحت عنوان عام هو طاعة الله ، أى الائتمار بأمره والانتهاء عما نهى عنه .

جزاء تعدى حدود الاستخلاف :

رأينا فيما سبق ان الله استخلف البشر فى الأرض وسخر لهم مخلوقاته وسلطهم على ملكه وخولهم استغلاله والانتفاع به ، وأنه قيدهم بطاعته ، والاهتداء بهديه ، والانتهاء عما نهى عنه ، وانتهينا إلى أن مركز المستخلفين فى الأرض هو مركز الخليفة والنائب ، وان الخلافة والنيابة هى عن الله جل شأنه .

ومنطق الفطرة يقضى بأن الخليفة أو النائب اذا خرج عن حدود منحه من سلطان أو ما قيد به من قيود فعمله باطل بطلانا لا شك فيه ، ولا يصح منه الا ما يدخل فى حدود الخلافة أو النيابة .

وهذا هو نفس منطق الاسلام دين الفطرة ، فنصوص القرآن .

قاطعة فى أن الشرك بالله وكراهة ما أنزل الله وتكذيب آياته والكفر بعد الايمان ، كل ذلك محبط للاعمال : ﴿ **ولقد أوحى اليك والى الـذين من قبلك لئن أشركت ليحبـطن عملك ولتكـونن من الخـاسرين** ﴾ (الـزمـر : ٦٥) ﴿ **ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعـمالهم** ﴾ (محمد : ٩) . ﴿ **والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة أحبط أعمالهم** ﴾ (الاعراف : ١٤٧) : ﴿ **ومن يرتدد منكم عن دينـه فيمت وهـو كافـر فأولئـك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة** ﴾ (البقرة : ٢١٧) .

وحبوط العمل معناه ضياع العمل وبطلانه بحيث يعتبر كأن لم يكن له وجـود ، وهـذا ما نسميه فى عرفنا القانونى بالبطلان المطلق أى البطلان الذى لا يقبل التصحيح .

وكـما يترتب البـطلان على الشرك بالله وكراهة ما أنزل وعلى الالحاد والكفر بعد الايمان فانه يترتب أيضا على عصيان المؤمنين أمر الله ورسوله ، فكل مؤمن بالله ورسوله عصى الله ورسوله فى أمر صغير أو كبير أو خرج على الطاعة فى أى شىء فعمله الذى عصى به الله ورسوله أو خرج به على الطاعة انما هو عمل باطل لا يقبـل التصحيح ، وذلـك قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا أطيعـوا الله وأطيعـوا الـرسـول ولا تبطلوا أعمالكم** ﴾ (محمد : ٣٣) . وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » أي من عمل عملا خارجا على ما جئنا به فعمله مردود لا أثر له .

واجبات المستخلفين فى الارض

والبشر لم يستعمروا الارض ولم يستخلفوا عليها ليفعلوا ما يشاءون دون قيد ولا شرط ، وليتركوا ما يشاءون دون حسيب ولا رقيب ، وانما استعمرهم الله فى الارض واستخلفهم عليها ليعبدوه وحده لا شريك له ، وليطيعوا أمره ، وينتهوا بنهيه ، فاذا كان استخلافهم فى الارض قد منحهم بعض الحقوق ، فانه قد حملهم كثيرا من الواجبات .

ولقد أوجب الله على البشر عامة يوم أسكنهم الارض أن يهتدوا بهديه ، وأن يتبعوا أمره ، ﴿ **فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ (البقرة : ٣٨) . وعهد اليهم ألا يعبدوا الشيطان وأن يعبدو الله ﴿ **ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ، وان اعبدونى هذا صراط مستقيم** ﴾ (يس : ٦١ ، ٦٢) : وكل من هذين النصين أمر عام باتباع ما أنزل الله وتحريم ما عداه .

ووعد الله جل شأنه المؤمنين به ، المهتدين بهديه ، أن يبدل خوفهم أمنا ، وضعفهم قوة ، وأن يستخلفهم فى الحكم كما استخلف الذين من قبلهم ، وأن يمكن لهم ويجعل لهم دولة فى الارض وسلطانا على الناس والدول ، وماداموا قائمين بأمر الله ، يعبدونه لا يشركون به شيئا ، ولا ينحرفون عن طاعته ، قليلا ولا كثيرا ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن**

المال مال الله

* ماذا يملك البشر فى هذا الكون
* المال لله وللبشر حق الانتفاع
* حدود حق البشر فى الانتفاع بمال الله
* ما يترتب على كون المال لله
* ما يترتب على حق البشر فى الانتفاع بمال الله
* حقوق الغير فى مال الله
  - الزكاة
  - الانفاق
  - أنواع الانفاق
  - الانفاق فى سبيل الله
  - الانفاق على ذوى الحاجة
  - انفاق التطوع
  - حد الانفاق

ماذا يملك البشر فى هذا الكون ؟

رأينا فيما سبق أن هذا الكون خلقه الله الذى خلق كل شىء ، وأنه سخره لمنفعة البشر ، وسلطهم عليه بما وهبهم من عقول ، وأنـه استخلف البشر ، واستعمـرهم فى الارض ولكنـه قيدهم بطاعته والاهتداء بهديه .

ولا شك أن البشر فى تسلطهم على الكون ، واستغلال ما فيه من قوى ، والانتفاع بما فيه من خير ، يحتاجون فى حفظ حياتهم والاحتفـاظ بقـوتهم ونشـاطهم الى طعـام ودواء ولباس وفراش ومأوى ، كما يحتاجون الى ما يستعينون به على استغلال الكون من أدوات وآلات وحيوانات .

واستغـلال الكون بعد ذلك يقتضى البشر أن يسيطروا على بعض الأرض يستنبتون فيها الزرع أو يرعون ما فيها من حشائش أو يستغلون ما فيها من أشجار أو يستخرجون ما فيها من معادن أو زيوت أو يقيمون عليها مساكنهم ومخازنهم ومصانعهم وقراهم ومدنهم .

ثم ان عجز البشر فى طفولتهم وشيخوختهم ومرضهم يدعوهم لان يدخروا لأبنائهم ما يحييهم فى طفولتهم ، والى أن يدخروا لأنفسهم ما يعينهم على شيخوختهم ومرضهم .

وقد تنمو الرغبة فى ادخار القليل وتتحول الى رغبة فى ادخار الكثير ، وهذا المدخر يتشكل اشكالا مختلفة بحسب ظروف كل شخص فيكون عقارا أو منقولا أو حيوانات أو معادن .

فهـل يتملك البشر كل هذا الـذى يحتـاجونه أو يحتازونه أو يدخـرونه ؟ وما حدود ملكيتهم ؟ وهل هى ملكية تامة أم هى ملكية ناقصة ؟ وهل هى ملكية مطلقة أم هى ملكية مقيدة ؟

المال لله وللبشر حق الانتفاع

ونستطيع فى سهولة ويسر اذا رجعنا الى ما لدينا من نصوص ورتبنا معلوماتنا ترتيبا منطقيا أن نصل الى نتيجة واحدة هى أن المال كله لله وأن البشر لا يملكون منه الا حق الانتفاع .

فالله جل شأنه هو الذى خلق السموات والارض وما بينهما وما فيهما من شىء ﴿ **ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء** ﴾ (الانعام : ١٠٢) ، ﴿ **هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا** ﴾ (البقـرة : ٢٩) ، ﴿ **الله الـذى خلق السمـوات والارض** ﴾ (ابراهيم : ٣٢) .

ومنطقنا البشرى يقتضى أن يكون خالق الشىء هو مالكه ، وبهذا المنطق نفسه جاءت نصوص القرآن ، فهى قاطعة فى أن الله له ملك السمـوات والأرض وما بينهما : ﴿ **ولله ملك السموات والارض وما بينهما** ﴾ (المائدة : ١٧) ، وأنه يملك كل شىء فى السموات وكل شىء فى الارض من صغير وكبير سواء كان له قيمة ماليه أو لم يكن قيمـة مالية ﴿ **لله ملك السموات والارض وما فيهن** ﴾ ، وأنه جل شأنه يملك كل هذا وحده دون أن يكون له فى ملكه شريك من البشر أو غير البشر ، ﴿ **ولم يكن له شريك فى الملك** ﴾ (الاسراء : ١١١) .

ولكن الله جل شأنه استعمر البشر فى الارض : ﴿ **هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها** ﴾ (هود : ٦١) ، وجعلهم خلائف فيها على ما سبق بيانه : ﴿ **هو الذى جعلكم خلائف الارض** ﴾ (فاطر : ٣٩) ، وسخر لهم كل ما خلق فى السموات والارض وسلطهم عليه بقدر ما يستطيعون من استغلاله واستثماره : ﴿ **ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** ﴾ (لقمان : ٢٠) ﴿ **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه** ﴾ (الجاثية : ١٣) .

ولم يسخر الله ملكه لفرد دون فرد ، أو لفئة دون فئة ، وانما سخره للبشر جميعا وجعله مشاعا بين عباده الذين استخلفهم فى الارض ليعيشوا فيه وينتفعوا به ، فما يعيش أحد منهم فى ملكه ، وما ينتفع الا بملك الله ، وليس أحد منهم أحق بملك الله من غيره ، وقد جعل الله منفعته لكل البشر : فهم فيه سواء .

ولقد بين الله لعباده الذين استخلفهم فى الارض أنهم حينما يستغلون ما خلق ويستثمرونه ويحصلون على منافعه لا يأتون بشىء من عندهم ، وانما هو رزق الله يسوقه اليهم ، وفضل آخر يغمرهم به : ﴿ **قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله** ﴾ (سبأ : ٢٤) ، ﴿ **هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض** ﴾ (فاطر : ٣) . واذا لم يكن ثمة من يرزق غير الله فعلى البشر أن يطلبوا الرزق من الله وحده ، وان يبتغوه عنده ﴿ **فابتغوا عند الله الرزق** ﴾ (العنكبوت : ١٧) ، فهو الرازق القوى على

خلق الرزق وايصاله للمرزوقين ﴿ **ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ (الذاريات : ٢٨) .

فملك الله مسخر لمنفعة البشر ، ولهم جميعا أن ينتفعوا به ويستغلوه ويستثمروه ويعملوا فيه ، والله مؤتيهم ثمرات الملك وغلته وأجورهم رزقا من عنده ، وما لرزقه من نفاد ، وما جعل الله هذا كله الا نعمة منه على البشر ، ما يعود عليه من نفع ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ولقد علمنا فيما سبق أن ما فى ايدى البشر من ملك الله وثمراته انما هو عارية ينتفع بها البشر ، وان القيام على العارية فى فقه البشر نيابة وان كانت نيابة العبد عن ربه والمملوك عن مالكه ، كذلك علمنا أن مركز المستخلفين فى الارض هو مركز الخليفة أو النائب ، وان الخلافة أو النيابة هى عن الله جل شأنه ، وهى قائمة فى حدود ما سخر الله للبشر من مخلوقاته ، وما سلطهم عليه من ملكه ، وما خولهم فى ذلك من الاستغلال والانتفاع .

واذا كان الله جل شأنه وهو مالك كل شىء قد سخر ما يملك لينتفع به عامة البشر الذين استخلفهم فى الارض ، فكأنه جل شأنه هو الذى يمنح كل فرد منهم ما فى يده من هذا الملك الواسع ﴿ **والله يؤتى ملكه من يشاء** ﴾ (البقرة : ٢٤٧) . سواء كان ما فى يد الفرد قليلا لا يزيد على حاجته ، أو كثيرا يكفى العشرات والمئات ، ﴿ **ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** ﴾ (الرعد : ٢٦) . وما تغير هذه المنح أيا كانت صفة الممنوحين ، فما هم الا

بعض أفراد البشر المستخلفين فى الارض يقومون على ملك الله ، وما هذا الملك الا عارية فى أيديهم ، وما مركزهم من هذا الملك الا مركز النائب أو الخليفة ، وما لهم من سلطان على هذا الملك الا ما خولهم الله من استغلاله والانتفاع به .

ولقد فرض الله على البشر أن ينفقوا من ماله الذى استخلفهم فيه وجعلهم قواما عليه ﴿ **وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** ﴾ (الحديد : ٧) . ولم يترك لهم الخيار فى الانفاق ، وعجب ألا ينفقوا وما ينفقون الا مما رزقهم الله وآتاهم اياه ﴿ **وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله** ﴾ (النساء : ٣٩) .

وما أمر الله البشر أن ينفقوا الا ذكرهم أنهم ينفقون من ماله الذى آتاهم ، ورزقه الذى ساقه اليهم ، والنصوص فى ذلك كثيرة منها قوله : ﴿ **وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت** ﴾ (المنافقون : ١٠) . ﴿ **يأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال** ﴾ (البقرة : ٢٥٤) ﴿ **قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية** ﴾ (ابراهيم : ٣١) ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ (البقرة : ٣) .

واذا كان المال مال الله وهو عارية فى يد البشر الذين استخلفهم عليه فليس للبشر أن يتأخروا عن انفاذ أمر الله فى هذا المال ، فاذا أمرهم أن يؤتوا فئات من الناس شيئا من هذا المال فعليهم أن يبادروا بذلك فما يؤتونهم الا من مال الله ﴿ **وآتوهم من مال الله الذى آتاكم** ﴾ (النور : ٣٣) .

وعلى كل فرد فى يده شىء من المال ـ وكل مال هو مال الله ـ أن يطيع أمر الله فيه سواء قل ما فى يده أو كثر ﴿ **ومن قدر عليه رزقــه فلينفق مما آتـاه الله لا يكلف الله نفسـا الا ما آتـاهـا** ﴾ (الطلاق : ٧) .

ولا يظنن أحد أن ما فى يده من مال الله هو رزق خصه الله به فيمنعه عن غيره ، ويبخل به على من يستحقه ، فان الله يرزق الناس ويؤتيهم ملكه ليقوموا عليه فى حدود أمره ونهيه ، واذا فضل الله بعض الناس على بعض فى الرزق فلا يحسبن صاحب الرزق الكثير اذا أنفق أو أعـطى غيره أنه ينفق أو يعطى من رزقه ، وليعلم أنه ينفق من مال الله ، وانه لا يعطى شيئا من عنده ، وانما هو وسيط أعـطى غيره من مال الله كما أخذ لنفسه من مال الله ﴿ **والله فضــل بعضكم على بعض فى الـرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون** ﴾ (النحل : ٧١) .

ولا يفـوتنا أن نلاحظ أن بعض نصوص القرآن نسبت المال لافراد البشر من ذلك قوله تعالى : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالبـاطل** ﴾ (البقرة : ١٨٨) ، وقوله ﴿ **وآتوا اليتامى أموالهم** ﴾ (النسـاء : ٢) وقـولـه : ﴿ **لتبلون فى أموالكم وأنفسكم**﴾ (آل عمـران : ١٨٦) . وقـوله ﴿ **خذ من أموالهم صدقة** ﴾ (التوبة : ١٠٣) . وقوله : ﴿ **ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** ﴾ (التوبة : ١١١) . وقوله : ﴿ **وفى أموالهم حق للسائل والمحروم** ﴾ (الذاريات : ١١) .

واضافة المال للبشر فى هذه النصوص وغيرها لا تفيد أن البشر ملكوا المال ، وانما تفيد أنهم ملكوا حق الانتفاع به ، فالمال مال الله كما قدمنا ، وهو مالك كل شىء ، وانما سخره للبشر لينتفعوا به ، فاذا أضيف اليهم فالاضافة لا يقصد منها الا ملك الانتفاع . والقاعدة أن الاضافة يكفى فيها أدنى الاسباب ، ولقد أضاف القرآن مال السفهاء الى أوليائهم ، لا لأنهم ملكوا المال ، ولكن لأنهم يملكون حق التصرف فيه بما لهم من حق الولاية ، فقال جل شأنه : ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا** ﴾ (النساء : ٥) ، فاضافة مال الله للبشر لأن لهم حق الانتفاع به هو من نوع اضافة مال السفهاء الى أوليائهم ، لأن لهم حق التصرف فيه .

وبعد فان النصوص لا يصح أن تفسر على ظاهرها مادام هناك نصوص أخرى تناقضها . والقاعدة أن نصوص القرآن لا يترك بعضها لبعض ، وانما تؤخذ جملة وتفسر مجتمعة ، والتفسير الصحيح الذى يرفع التناقض يقتضى اعتبار نسبة المال للبشر نسبة مجازية ، وانه نسب اليهم لوجوده فى أيديهم ، ولما لهم من حق الانتفاع به فى الحدود التى رسمها الله .

ونخلص من ذلك كله بأن ما فى يد البشر من مال على اختلاف أنواعه وأشكاله ومقاديره وما ينتجه هذا المال من أموال انما هى جميعا مال الله لا مالهم وملكه لا ملكهم اقامهم عليه واستخلفهم

فيه فما يملكون من هذا المال الا حق الانتفاع به وما يستتبع حق الانتفاع بالمال من استهلاكه والتصرف فيه .

حدود حق البشر فى الانتفاع بمال الله

للبشر حق الانتفاع بما فى أيديهم من مال وهو الحق الوحيد الذى لهم على هذا المال . . والانتفاع بالمال قد يكون باستغلاله أو استثماره كما هو الحال فى الاراضى الزراعية والمناجم والمحاجر ، وقد يكون باستهلاك المال كما هو الحال فى الطعام والشراب والثمار ، وقد يكون بالتصرف فى المال تصرفا شرعيا كالبيع والوصية والهبة .

وللبشر أن ينتفعوا بمال الله على هذه الوجوه كلها ، ولن يخرجهم عن كونهم منتفعين بالمال أن لهم حق استهلاك بعضه ، ذلك أن لهم الانتفاع فاذا لم يكن الانتفاع ممكنا الا بالاستهلاك كان الاستهلاك هو عين الانتفاع ، ولقد أباح الله جل شأنه للبشر أن يستهلكوا من ماله كل ما يقتضى الانتفاع به أن يستهلك ، فأباح لهم استهلاك الطعام والشراب والثمار واللباس والاثاث ، كما أباح لهم استهلاك جميع الطيبات ، وجميع ما تقتضى ظروف حياتهم استهلاكه والنصوص فى ذلك صريحة منها قوله جل شأنه : ﴿ **كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا** ﴾ (المائدة : ١٨) . ﴿ **كلوا واشربوا من رزق الله** ﴾ (البقرة : ٦٠) . ﴿ **يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم** ﴾ (البقرة : ١٧٢) . ﴿ **كلوا من ثمره اذا أثمر** ﴾ (الانعام : ١٤١) ﴿ **والله جعل لكم من**

بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها اثاثا ومتاعا الى حين . والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ (النحل : ٨٠ ، ٨١) . ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾ (ابراهيم : ٤٤) . ﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ . (الاعراف : ٣٢) ، وحق البشر فى الانتفاع بمال الله ليس حقا مطلقا ، وانما هو حق مقيد بقيود ، فليس لهم أن ينتفعوا بهذا المال كما يشاءون ، وانما لهم أن ينتفعوا به فقط فى حدود حاجتهم لهذا المال ، وبالقدر الذى يكف عنهم الحاجة ويدفعها ، بشرط أن يكون ذلك كله فى حدود الاعتدال دون سرف أو تقتير ، فليس لهم أن يسرفوا فى طعامهم وشرابهم ولباسهم وامور معيشتهم ، وما يجوز لهم أن يقتروا على أنفسهم ، وعليهم أن يتوسطوا بين الامرين وأن لا يجاوزوا حدود الاعتدال ، فقد حرم الله عليهم السرف وبسط اليد فى المال كما حرم عليهم التقتير وقبض اليد عن النفس بما هى محتاجة إليه . ﴿ كلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ (الاعراف : ٣١) . ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه ﴾ (طه : ٨١) . ﴿ والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ (الفرقان : ٦٧) . ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾ (الاسراء : ٢٩) .

واذا كان للفرد أن يأخذ من مال الله ما يكفى حاجته ، فان له أيضا أن يأخذ من هذا المال ما يكفى حاجة أهله الذين تلزمه نفقتهم كالـزوجة والاولاد والابوين ، وله أيضا أن يأخذ بعض مال الله لينفقه فى حفظ بقية المال ، وفى استغلاله وتثميره ، وله أن يفعل ذلك كله فى حدود الاعتدال دون سرف أو تقتير .

ما يترتب على كون المال لله

يترتب على أن المال مال الله النتائج الآتية :

١ ـ لا يجوز لأحد كائنا من كان أن يتملك المال تملكا نهائيا ، ولا يجوز لأحد أن يكون له على المال الا ملك المنفعة ، لأن حقوق الله ثابتة له جل شأنه ، وليس لأحد من البشر أن يتصرف فيها أو يتنازل عنها حاكما كان أو محكوما فردا أو جماعة .

٢ ـ أن للجماعة بواسطة ممثليها من الحكام وأهل الشورى أن تنظم طريقة الانتفاع بالمال ، اذ المال وان كان لله الا أنه جعله لمنفعة الجماعة ، والقاعدة فى الاسلام أن كل ما ينسب من الحقوق لله انما هو لمنفعة الجماعة وهى التى تشرف عليه دون الافراد .

٣ ـ ان للجماعة بواسطة ممثليها من الحكام وأهل الشورى أن ترفع يد مالك المنفعة عن المال اذا اقتضت ذلك مصلحة عامة ، بشرط أن تعوضه عن ملكية المنفعة تعويضا مناسبا ، اذ الاسلام لا يجيز الغصب ولا يحل أخذ المال بغير طيب نفس صاحبه ، كما

لا يحل أخذه بالباطل وذلك قول الله تعالى ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ (البقرة : ١٨٨) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم « كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وعرضه وماله » وقوله « ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام » .

٤ ـ ان الاسلام وان كان يبيح حرية التملك الى غير حد ، الا أنه يجيز للجماعة بواسطة ممثليها وباعتبارها القائمة على حقوق الله وتنظيم الانتفاع بها أن تحدد ما يملكه الشخص من مال معين اذا اقتضت ذلك مصلحة عامة كتحديد الملكية الزراعية بقدر معين أو ملكية أراضى البناء .

ما يترتب على حق البشر فى الانتفاع بمال الله

ويترتب على أن للبشر الانتفاع بمال الله وتملك حق الانتفاع نتائج هى :

١ ـ اذا كانت الجماعة قائمة على حق الله وهو ملكية المال ، فليس لها أن تمس ملكية الانتفاع المخصصة للافراد الا من وجهة تنظيم حق ملكية الانتفاع وليس لها أن تحرم ملكية الانتفاع التى جعلها الله للافراد .

٢ ـ ان ملكية المنفعة تتصل بالعين كما تتصل بالشخص فيجوز لمالك المنفعة أن ينقلها الى غيره بالبيع والرهن والوصية وغيرها من التصرفات الشرعية ، كما أنها تنتقل عن المالك بوفاته الى ورثته .

٣ ـ ان ملكية المنفعة دائمة فى أصلها بالنسبة للافراد أى أنها غير

مقيدة بمـدة معينة ، فيصح أن يظل الشيء فى حيازة شخص معين ينتفع به حتى يموت ثم يتوارثه عنه أولاده وأولادهم حتى ينقرضوا كما هو الحال فى الوقف .

٤ - ان ملكية المنفعة انما جعلت لينتفع بها الفرد بطريق مباشر ، ولتنتفع بها الجماعة من طريق غير مباشر ، فاذا عطل المنتفع المال فلم ينتفع به فقد عطل انتفاع الجماعة ، وكان للجماعة أن ترفع يده عنه بشرط أن تعوضه عنه بما يقابل قيمته .

حقوق الغير فى مال الله

واذا كان لكـل فرد حق الانتفـاع بما فى يده من مال الله فى الحـدود التى بيناها ، فان للغير حقوقا فرضها الله فى هذا المال وأوجب على من فى يده المال أن يقوم بها باعتباره مستخلفا فى مال الله ، وهذه الحقوق هى :

١ - الـزكاة

وهى فريضة فى مال الله ، فعلى كل فرد فى يده شىء من مال الله أن يخرجهـا من هذا المـال اذا بلغ قدرا معينا ، ويؤديها الى الحاكم ليردها على ذوى الحاجة طبقا لنصوص القرآن .

والزكاة كالصلاة من مبانى الاسلام ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن

محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » .

وأكثر النصوص تجمع بين الصلاة والزكاة ، كقوله تعالى ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ (البقرة : ٨٣) . وقوله ﴿ **فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم** ﴾ (التوبة : ٥) ، وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوه عصموا منى دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله » .

والزكاة فريضة فى المال ، ولذلك تجب على الرجال والنساء والصغار والكبار ، لقوله تعالى ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ (التوبة : ١٠٣) . ومقدارها يختلف باختلاف المال ، فقد تصل الى عشر المال كما فى المستنبت المقتات ، وقد تصل الى **٢,٥** بالمائة من المال كما فى الحلى والنقود ، وقد تكون أقل من ذلك كما فى زكاة الأنعام .

وتجب الزكاة فى كل مال حال عليه الحول ، أى مضى عليه عام فى يد المستخلف عليه ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا زكاة فى مال حتى يحول عليه الحول » .

(٢) الانفاق

وانفاق المال يعتبر فى الاسلام صفة من الصفات الدالة على

الاسلام وعلى الايمان وعلى طاعة الله والقيام بأمره ، وحينما وصف الله المتقين وصفهم بأنهم : ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ (البقرة : ٣) فسوى جل شأنه بين الايمان بالغيب واقامة الصلاة والانفاق ، وجعلها جميعا علامة على التقوى .

ووصف الله المؤمنين بأنهم هم الذين يخشون ربهم فاذا ذكر وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا على ايمانهم ، وأنهم يعملون ويحسنون عملهم ما استطاعوا ثم يتوكلون بعد ذلك على ربهم ، وأنهم الذين يقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله ، وأكد الله لنا أن هذه الاوصاف هى أوصاف المؤمن الحقيقى ، فالانفاق اذن صفة من صفات المؤمن ، وعلامة على الايمان الحق ﴿ **انما المؤمنون الذين اذ ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا** ﴾ (الانفال : ٢ - ٤) .

بل ان الانفاق يعتبر فى الاسلام أصلا من أصول البر اى الخير ، فلا يتم الخير الا بالانفاق ، لقوله تعالى : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ،**

والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ (البقرة : ١٧٧) .

ويلاحظ على نص الآية أولا : انه جعل الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر أصلا من أصول البر أى الخير ، وجعل الأعمال الصالحة المترتبة على الايمان والتى هى نتيجة له أصلا ثانيا للبر أى الخير . فالخير هو ما يهدف اليه الاسلام ، والاصول التى يقوم عليها هى الايمان المجرد ثم اتيان ما يقتضيه الايمان من الاعمال ومثل ذلك قوله تعالى : **﴿ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾** (آل عمران : ١٠٤) ، فالغاية هى الدعوة الى الخير والوسائل هى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويدخل تحتها كل ما جاء به الاسلام ، ومن ذلك قوله تعالى : **﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات ﴾** (المائدة : ٤٨) ، فغاية الأديان ليست الا الخير ، وما تدعو الناس الا الى الاستباق فى عمل الخير ، ووسائلها الى ذلك هى الايمان بالله ، والعمل طبقا لما امر الله .

ويلاحظ على نص الآية ثانيا : أنه جعل الانفاق على رأس الاعمال الصالحة التى تؤدى الى الخير وهى غاية الاسلام وهدفه ، كذلك قدم النص الانفاق على الصلاة والزكاة ، ويكفى هذا

دليلا على مكانة الانفاق فى الاسلام ، ودليلا على أن الاسلام لا يتحقق فى مسلم يمتنع عن الانفاق :

وقد بين لنا الله جل شأنه أننا لن نصل الى ما يهدف اليه الاسلام وهو الخير حتى ننفق من أحب أموالنا الينا وأكرمها علينا ، فقال جل شأنه : ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ (آل عمران : ٩٢) ومن أنفق مما يحب هان عليه ما دونه .

ويتبين مما سبق أن غاية الاسلام هى الخير ، وأن وسائله للخير هى الايمان والاعمال الصالحة ، وأن الانفاق هو أول الاعمال الصالحة ، وأن الامتناع عن الانفاق يحول دون الوصول الى غاية الاسلام وهى الخير ، واذا كان الانفاق وسيلة من وسائل الاسلام الى الخير ونتيجة من نتائج الايمان بالله ، فان المسلم الذى يمتنع عن الانفاق يشهد على نفسه بأنه يعصى الله ، وأنه يعطل الاسلام ، وأنه لم يؤمن بالله حق الايمان .

أنــواع الانفــاق

والانفاق نوعان : انفاق الفريضة وانفاق التطوع وانفاق الفريضة نوعان : انفاق فى سبيل الله ، وانفاق على ذوى الحاجة :

وانفاق الفريضة هو ما يجب انفاقه من المال ، وما للحاكم أن يأخذه ليصرفه فى مصارفه ، رضى ذلك المستخلف على المال أم كره ، أما انفاق التطوع فهو ما ترك للمستخلف أن ينفقه هو دون أن يجبره على انفاقه أحد .

الانفـاق فـى سـبيل اللـه

والانفـاق فى سبيل الله فريضـة واجبـة ويشمل كل ما ينفق لاعلاء كلمة الاسلام ، والدفاع عنه ، ونشر الاسلام بين الناس واقامة أحكامه ، ومن واجب كل مستخلف على مال الله أن ينفق منه فى هذه السبيل ، ومن حق الحكومة الاسلامية أن تقتطع من الثروات والاموال التى فى يد الافراد ما تراه كافيا لاعلاء كلمة الله ، ويستوى أن يصرف المال فى الاعداد للعدو أو دفعه أو رفع مستوى المسلمين عامة علميا أو اجتماعيا ورياضيا أو نشر الاسلام واقامة أحكامه بين الناس فكل ذلك انما هو انفاق فى سبيل الله ، اذ أن سبيل الله هى طاعتـه فى كل ما أمر به من جهاد وحكم ومساواة وعدل وغير ذلك .

والانفـاق فى سبيل الله جهاد ، اذ كما يكون الجهاد بالنفس يكون بالمال ويكون بهما معا ، ولقد أمر الله المسلمين أن ينفروا خفافا وثقالا وأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيله ، فقال جل شأنه : ﴿ **انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون** ﴾ (التوبة : ٤١) ، وجعل الله الجهاد بالمال والنفس علامة ايمان الشخص والدليل على صدق هذا الايمان : ﴿ **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون** ﴾ (الحجرات : ١٥) .

ولقد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة **﴿ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾** (التوبة : ١١١) وجعل هذا البيع التجارة الرابحة المنجية **﴿ يأيها الـذين آمنـوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنـــون بالله ورســـولـه وتجـاهـدون فى سبيـل الله بأمـوالكم وأنفسكم ﴾** (الصف : ١٠ - ١١) .

واعتـبر الامتنـاع عن الانفاق فى سبيل الله القاء بالنفس فى الهلكة **﴿ وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ﴾** (البقـرة : ١٩٥) فاذا لم يبـذل المسلمـون فى سبيل الله ، وتأييد دينه ، واعلاء كلمته كل ما يستطيعون من قوة ومال فقد أهلكوا أنفسهم ، ومكنوا لاعدائهم من رقابهم ، وروى عن أبى أيوب الانصارى أنه قال : ان هذه الآية نزلت فينا معشر الانصار ، لما أعـز الله الاسلام وكثر ناصروه . قال بعضنا لبعض سرا : ان أموالنا قد ضاعت ، ان الله قد أعز الاسلام ، فلو أقمنا فى أموالنا فأصلحنـا ما ضاع منهـا ، فأنـزل الله الآية يرد علينا ما قلنا ، فالتهلكة هى الاقامة على الأموال واصلاحها والضن بها أن تنفق فى سبيل الله .

واذا كان الله جل شأنه قد فضل المجاهدين بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله على المجاهدين فى سبيل الله بأموالهم فقط ، فانه وعد كلا الفريقين الحسنى **﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ؟**

فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ﴾ (النساء : ٩٥) . فعلى كل من كان فى يده شىء من مال الله أن ينفق منه فى سبيله ويجاهد به لاعلاء كلمة الله ورفعة الاسلام ، ومن فاته الجهاد بنفسه فلا يفوتنه الجهاد بالمال ، فان من فاته الجهاد بالنفس والمال وهو قادر عليهما فقد فاتته رحمة الله وقدم نفسه لنار جهنم ، ولقد كره البعض فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله فوعدهم الله نار جهنم ، ومنع رسوله أن يصلى على من مات منهم أو يقوم على قبره ﴿ **فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون . . . ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون** ﴾ (التوبة : ٨١ ، ٨٤) .

ولقد أعد الله للذين يكنزون المال ولا ينفقونه فى سبيل الله عذابا أليما فقال جل شأنه ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم** ﴾ وتلك هى التهلكة التى يلقى الناس بأنفسهم اليها حين يبخلون ولا ينفقون فى سبيل الله .

وكل مسلم مطالب بالانفاق مادام يجد ما ينفقه فى سبيل الله ، فاذا لم يجد فما عليه من حرج ، ويكفيه النصح لله ولرسوله ولجماعة

المسلمين ، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ولا يؤاخذ الله محسنا أحسن عمله أو قوله بقدر ما يستطيع « **ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ، ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم** » التوبة : ٩١ .

الانفاق على ذوى الحاجة :

يدخل الانفاق على ذوى الحاجة فى الجماعة الاسلامية تحت الانفاق فى سبيل الله ، لأن سبيل الله هى طاعته ، فكل انفاق يطاع فيه الله هو انفاق فى سبيل الله ، ولكنا أفردنا للانفاق على ذوى الحاجة مكانا خاصا وعنوانا مستقلا لأن الله جل شأنه خصه بنصوص خاصة من ذلك قوله تعالى : « **ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب**[1] » البقرة : ١٧٧ . وقوله « **وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل** » الاسراء : ٢٦ . وقوله « **وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم** » النساء : ٣٦ . وقوله « **ما سلككم فى سقر . قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين** » المدثر : ٤٤ .

(١) المساكين هم الفقراء المعدمون وابن السبيل هو المنقطع فى السفر لايتصل بأهل ولاقرابة ، والسائلون هم من تدفعهم الحاجة الى تكفف الناس وفى الرقاب أى فى تحريرها وعتقها كافتداء الأسرى

وقوله : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ﴾ (الانسـان : ٨) ، وقـولـه ﴿ قل ما أنفقتم من خير فللوالـدين والاقـربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ (البقرة : ٢١٥) ﴿ للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا ﴾ (البقرة : ٢٧٣) . وقوله ﴿ وفى أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ (الذاريات : ١١) .

والانفاق على ذوى الحاجة فريضة افترضها الله فى المال فليس لمستخلف على مال الله أن يمنعهـا ، وللحكومات الحق فى أن تأخذ من أموال الاغنياء ما يكفى حاجة الفقراء ، فان لم تفعل فقد عصت أمر الله وحرمت ذوى الحاجة حقوقهم التى فرضها لهم الله .

ولا يشترط أن يكون الفقراء وذوو الحاجة معدمين لا يملكون شيئـا أصلا حتى يستحقوا الانفاق عليهم ، وانما الشرط أن لا يكون لديهم ما يكفى حاجتهم ، فكل من كان ايراده لا يكفى حاجته فهو من ذوى الحاجة وعلى الحكومة الاسلامية أن تأخذ من فضول أموال الاغنياء ما يرد حاجة ذوى الحاجة .

والانفـاق على ذوى الحـاجة يعبر عنه بالصدقة كما يعبر عن الزكاة بالصدقة ، وذوو الحاجة الذين يجب لهم الانفاق هم تقريبا الذين فرضت لهم الزكاة فى قوله تعالى : ﴿ انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين

وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله ﴾ (البقر : ٦٠) . وقد دعا هذا الى اشتباه الامر على البعض ، فظن أن ليس فى المال لذوى الحاجة سوى الزكاة ، وهذا خطأ لا شك فيه ، لأن الزكاة ليست هى كل ما فى المال من حق ، وانما هى الحق الاول لذوى الحاجة ، فان كفتهم فبها ، والا فقد وجب الانفاق فريضة من الله حتى تكف الحاجة عن ذوى الحاجة .

وليس أدل على صحة ما نقول من أن القرآن فرق بين الانفاق والزكاة فى نص واحد واعتبر كليهما من الاعمال التى يقتضيها الايمان ويقوم من أجلها الاسلام ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة** ﴾ (البقرة : ١٧٧) . فجاء النص صريحا فى وجوب الانفاق وفى وجوب الزكاة . والفصل بين الانفاق والزكاة بالصلاة دليل على الاختلاف بين الانفاق والزكاة ، والنص على كل من الانفاق والزكاة على حدة فى آية واحدة قاطع بأن كليهما يختلف عن الآخر وأنهما فريضتان مختلفتان ، ومن ادعى أن الزكاة نسخت الانفاق كفريضة فانه يدعى مالا حجة له عليه ، فالزكاة فرضت فى مكة والآية التى سبق ذكرها مدنية ، فكيف تنسخ الفريضة السابقة الفريضة اللاحقة ؟ بل كيف ينسخ بعض النص الواحد بعضه الآخر ؟

ولقد جاءت السنة بنفس ما جاء به القرآن من المخالفة بين الانفاق والزكاة وجعلهما فريضتين مختلفتين ، فيروى عن أنس بن مالك ان رجلا من تميم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله انى ذو مال كثير وذو أهل ومال وحاضره فأخبرنى كيف أصنع وكيف انفق ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تخرج الزكاة فانها طهرة تطهرك ، وتصل أقرباءك وتعرف حق المسكين والجار والسائل » ففرق الرسول بين الزكاة وبين صلة الاقارب واعطاء المساكين والجيران والسائلين حقوقهم التى أوجبها الله لهم بعد الزكاة . وروت فاطمة بنت قيس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان فى المال لحقا سوى الزكاة ثم تلا قوله تعالى « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخ الآية » .

فالانفاق اذن فريضة غير فريضة الزكاة ، وقد افترضه الله لسد مالم تسده الزكاة من حاجات ، ومن الممكن أن تسد فريضة الزكاة حاجة ذوى الحاجة كما حدث فى عهود الاسلام الاولى ، وقد تزيد عن حاجتهم كما حدث فى عهد عمر بن عبد العزيز فقد كانت الدولة لا تجد من المحتاجين من تنفق عليهم بعض حصيلة الزكاة . فاذا لم تقم فريضة الزكاة بسد حاجة ذوى الحاجة ففريضة الانفاق تقوم بما لم تتسع له فريضة الزكاة .

انفاق التطوع

هذا النوع من الانفاق يأتى بعد أداء انفاق الفريضة بنوعيه ، وهو متروك لاختيار المنفق ان شاء أنفق وان شاء امتنع ، ولذلك سميناه انفاق التطوع ويسمى صدقة التطوع فان أنفق فله أجر الانفاق وان لم ينفق لم يأثم .

ولقد حض الاسلام على الانفاق وحببه الى الناس وأعد لهم عليه أفضل الجزاء ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء** ﴾ (البقرة : ٢٦١) . واعلمهم أن ما ينفقون من خير فانما يعود عليهم ﴿ **وما تنفقوا من خير فلأنفسكم** ﴾ (البقرة : ٢٧٢) . ودعاهم الى أن ينفقوا من أموالهم فى كل وقت من أوقات الليل والنهار وفى السر والعلانية ، وضمن لهم الأجر الجزيل والجزاء الاوفى ﴿ **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ (البقرة : ٢٧٤) .

وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم تنهج نهج القرآن فى الحض على الانفاق فيما روى عنه قوله « تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » وقوله « اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فكلمة طيبة » وقوله « ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب ـ ولا يقبل الله الا طيبا ـ الا كان الله آخذها بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم فصيله حتى تبلغ التمرة

مثل أحد » وقوله « كل امرىء فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » .

حد الانفــاق

جعـل الإسـلام للانفـاق حدين : الحـد العـادى ، وحـد الضرورة سواء كان الانفاق فريضة أو تطوعا .

فأما الحد العادى للانفاق فيمتد الى كل ما يزيد عن حاجة المستخلف على المال فما زاد على حاجته فهو محل للانفاق أيا كان مقداره ، والاصل فى ذلك قول الله جل شأنه ﴿ **يسئلونك ماذا ينفقـون قل العفـو** ﴾ (البقرة : ٢١٩) وقوله ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ (الاعراف : ١٩٩) والعفو هو الفضل أى ما عفت عنه الحاجة وما فضل بعد سدها .

وروى فى أسبـاب نزول الآية الاولى أن نفـرا من الصحابة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حد الانفاق فأجيبوا على لسان الوحى أن ينفقوا العفو أى ما زاد عن حاجتهم .

ولقد حاول بعض المفسرين أن يفسر العفو بمعنى آخر ، فقال ان العفو نقيض الجهد فيكون معنى الآية أنهم ينفقون ما سهل عليهم وتيسر لهم مما يكون فاضلا عن حاجتهم وهو تفسير تكلف يخالف ظاهر النص ويخالف ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قوله « يا ابن آدم انك ان تبذل الفضل خير لك وان

تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف » والفضل ما زاد عن الحاجة ، والكفاف ما كف عن الحاجة ولا يزيد عن قدرها . وقول الرسول « طوبى لمن عمل بعلمه ، وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله » وقوله « الايدى ثلاثة : فيد الله العليا ويد المعطى التى تليها ، ويد السائل السفلى ، فأعط الفضل ولا تعجز عن نفسك » فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر العفو بأنه الفضل وما زاد عن الحاجة ، ويدعو الى انفاقه جميعا ويحذر من امساكه ، ويقول فى صراحة إنه لا ملام على الاحتفاظ بما يكفى الحاجة ، وانما الملام على مازاد على ذلك .

ولقد حدد بعضهم حاجة المستخلف عن المال بالحاجة اليومية ، وحددها البعض بالحاجة الشهرية وحددها آخرون بحاجة السنة ، وحجتهم أن النبى صلى الله عليه وسلم ادخر لاهله قوت سنة .

واذا كان كل ما زاد عن حاجة المستخلف على المال محلا للانفاق فينبغى أن نعلم أن انفاق هذا الزائد لا يجب الا اذا استوجب الانفاق حاجة الغير اليه ، فاذا لم يكن بالغير حاجة الى الفضل كان لمن فى يده المال أن ينفق منه تطوعا ما شاء ولو أتى على كل الفضل ، أما اذا كان بالغير حاجة الى الفضل فليس لمن فى يده المال أن يأخذ من الفضل شيئا والا كان آخذا غير حقه ، وهذا ما فهمه أبو سعيد الخدرى صاحب رسول الله حين سمعه يقول « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن

كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له » قال أبو سعيد فذكر ـ أى الرسول صلى الله عليه وسلم ـ من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لاحد منا فى فضل .

وللحكومة الاسلامية بعد ذلك أن تأخذ من فضول أموال الاغنياء فتردها على الفقراء ولو لم يكونوا بحاجة اليها اذا اقتضت ذلك مصلحة عامة تحقيقا لقوله تعالى ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** ﴾ (المائدة : ٣) وهذا هو ما رآه عمر رضى الله عنه قبيل وفاته ، فقد أثر عنه أنه قال : ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت لاخذت فضول أموال الاغنياء فرددتها على الفقراء ، وكان عمر يرى هذا بالرغم من أنه فرض لكل شخص فى بيت المال حتى الاطفال ، فلم تكن حاجة الغير الى فضول أموال الاغنياء هى التى تدعو عمر الى القول برد هذه الفضول للفقراء ، وانما رأى عمر أن ثروات الاغنياء تضخمت وخشى عليهم الترف والبطر ، وخشى على الفقراء الحسد والفتنة ، فود لو حسم الامر كله برد فضول أموال الاغنياء على الفقراء ، ولو طال عمره وفعل هذا لتغير تاريخ الاسلام .

وحاجة الغير لفضول الاموال لا تتحدد فقط بما يكفى حاجة الافراد متفرقين ، وانما تتحدد أيضا بما يكف حاجتهم مجتمعين ، أو بتعبير آخر تتحدد الحاجة الى فضول الاموال بما يسد حاجة الجماعة بعد حاجة الافراد ، وحاجات الجماعة لا تنتهى ولا حد لاشباعها ، فكلما تقدمت الجماعة وقويت زادت حاجتها الى

التقـدم والقـوة لتحتفظ بمكانتها بين الجماعات ، وكلما أقامت الجـماعـة أمـر الله تجددت حاجتهـا الى اقـامـة أمر الله لمواجهة المستحدث من الفساد والعصيان .

واذن ففضـول الامـوال رهن بما يسـد حاجة الافراد وحاجة الجماعة ، فليس لمن فى يدهم هذه الفضول أن ينفقوا منها شيئا على أنفسهم والا كانوا آخذين غير حقهم وليس لهم أن ينفقوا منها تطوعا الا بعد أن يأخذ الأفراد والجماعة ما يجب لهم فيه ، ولو أن انفـاق التطوع يعود على الغير بالنفع ، ذلك أن صدقة التطوع تترك لمشيئة المتطوع ، يوزعها كيف يشاء ، أما انفاق الفريضة فيجب أن يصيب من لهم الحق فى المال دون غيرهم .

أما حد الضرورة فى الانفاق فانه يمتد من الفضول الى نفس الجزء المخصص لسد حاجة المستخلف على المال ، فيصبح للغير من الأفراد وللجماعة الحق فى أخذ ما تدعو الضرورة لأخذه من هذا الجزء قل المأخوذ أو كثر لسد بعض حاجة الآخرين ولتوفير المال الضرورى لصيانة أمن الدولة الخارجى والداخلى .

ولا ينتقـل حد الانفـاق الى الجـزء المخصص لسـد حاجـة المستخلف على المـال الا لضرورات تقتضى هذا الانتقـال . ونستطيع أن نضرب على هذه الضرورات أمثلة حدثت فى مطلع العهد الاسلامى .

وأول هذه الامثلة كان فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فقـد أمـر المسلمـين بالهجـرة من مكة الى بالمدينة فهجروا مكة

متسللين تاركين أموالهم نهبا لمشركى قريش ودخلوا المدينة وأكثرهم لا يملك قوت يومه ، وما ترك المهاجرون كل أموالهم الا استجابة لأمر الله ، وجهادا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله **﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾** (الحشر : ٨) . فلما وصل الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة آخى بين المهاجرين والانصار وأنزل المهاجرين على الانصار يشاركونهم فى كل ما يملكون ، ويقاسمونهم القليل والكثير ، ولم تكن أموال الانصار بالتى تتسع لهم وللمهاجرين ولكنهم رحبوا بالمهاجرين وآثروهم على أنفسهم وهم فى أشد الحاجة الى ما يؤثرون به غيرهم ، وما فعلوا ذلك الا استجابة لله وجهادا فى سبيله فاستحقوا بذلك قول الله فيهم : **﴿ والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾** (الحشر : ٧) .

هذا هو المثل الاول يبين لنا أن مصلحة الاسلام اقتضت أن يضحى المهاجرون بكل اموالهم فضحوا بها طيبه نفوسهم ، وان المصلحة اقتضت أن يضحى الانصار بالكثير مما هم فى أشد الحاجة اليه فنزلوا على أمر الله وآثروا المهاجرين على أنفسهم .

أما المثل الثانى فكان فى عهد عمر رضى الله عنه حين حدثت

المجـاعـة فى سنة ثمانى عشرة من الهجرة ، واشتد الجوع حتى جعلت الوحش تأوى الى الانس وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها ، فآلى عمر على نفسه أن لا يذوق سمنا ولا لبنا ولا لحما حتى يحيى الناس ، وكان يقول : « لو لم أجد للناس ما يسعهم الا أن أدخل على أهل كل بيت عدتهم فيقاسمونهم أنصاف بطونهم حتى يأتى الله بالحياة فعلت ، فانهم لن يهلكوا على انصاف بطونهم » وما قال ذلك الا بعد أن كتب الى أمراء الأمصار يستمدهم » فكان أول من قدم اليه أبو عبيدة بن الجراح فى أربعة آلاف راحلة من طعام ، وبعث عمرو بن العاص فى السفن وعـلى الابـل ، فبعث عشرين سفينـة وألف بعير محملة بالدقيق ، كما بعث خمسة آلاف كساء وبعث معاوية ثلاثة آلاف بعـير محملة كما بعث ثلاثة آلاف عباءة ، وبعث سعد بن أبى وقاص ألف بعير محملة بالدقيق ، وكل ذلك وزع على المحتاجين والفقراء ولكنه لم يكد يسد حاجتهم فرأى عمر أن يدخل على أهل كل بيت عدتهم من المحتـاجـين ليقـاسموهم طعامهم ويعيش الجميع على أنصاف بطونهم .

وقـد استلهم عمر فى هذا الاتجاه روح الاسلام وتأسى بما فعله رســول الله صلى الله عليه وسلم من المؤاخـاة بين المهـاجـرين والأنصار وانزال المهاجرين على الأنصار حتى يسر الله للمهاجرين وأذهب عنهم الفاقة .

أما المثل الثالث فبطله أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه كان وثلثمائة من صحابة الرسول فى سفر ففنيت أزواد بعضهم فأمرهم أبو عبيدة فجمعوا أزوادهم فى مزودين وجعل يقوتهم اياها على السواء .

وهكذا يحمل الاسلام الناس فى الأزمات والمجاعات وعند الضرورات أن يسع بعضهم بعضا فيما هم فى حاجة اليه وفيما يقيم أودهم ويحفظ حياتهم ، وفى هذا روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : « من كان عنده طعام اثنين فليذهب (الى الطعام » بثالث ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس » .

والاصل فى ذلك كله أن المال مال الله ، وأن الاسلام فرض على المسلمين أن يتعاونوا على البر والتقوى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** ﴾ (المائدة : ٣) ، كما أن الاسلام يقيم المجتمع الاسلامى على أساس التضامن الاجتماعى ، فيجعل فى أموال الأغنياء حقا للفقراء : ﴿ **وفى أموالهم حق للسائل والمحروم** ﴾ (الذاريات : ١١) ، ﴿ **وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل** ﴾ حتى ليبرأ الله من كل جماعة أصبح فيهم فرد جائعا ، وذلك قول رسول الله : « أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله » . ويجعل الاسلام المسلمين بمثابة البنيان يشد بعضه بعضا ، . ويقيم بعضه البعض الآخر ، بل يجعل المسلمين جميعا جسدا

واحدا اذا أصيب منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ويقول : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

ويوجب الاسلام على كل مسلم أن يرحم أخاه المسلم ، وان لا يظلمه ولا يسلمه ، وذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » وقوله . « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » فمن كان له فضل مال ورأى أخاه جائعا فلم يغثه فما رحمه بلا شك ، ومن تركه يجوع ويعرى وهو قادر على اطعامه وكسوته فقد أسلمه لا جدال فى ذلك .

بحث محدود :

هذه هى خلاصة نظرية الاسلام فى ملكية المال ، وتلك هى الأصول التى تقوم عليها ، وما نريد أن نتعرض لما لا محل له هذا الكتاب ، وما تعرضنا لنظرية المال إلا بقدر ما نستبين حق الحكومات على ما فى يد الأفراد من مال وحق الأفراد فى هذا المال ، ونرجو أن يوفقنا الله لوضع كتاب خاص نبسط فيه النظرية وتطبيقاتها وما يتصل بها من نظريات اقتصادية اسلامية ، وما يمكن أن يترتب على هذه النظريات فى المجتمع الاسلامى .

لله الحكم والأمر

* لمن الحكم
* الحكم من طبيعة الاسلام
* الاسلام عقيدة ونظام
* الاسلام دين ودولة

لــمن الحــكم ؟

هذا سؤال لا تصعب الاجابة عليه بعد أن علمنا أن الله هو خالق الكـون ومـالكـه ، وأنـه استعمر البشر واستخلفهم فى الأرض وأمرهم أن يتبعوا هداه ، وأن لا يستجيبوا لغيره ، فكل ذى منطق سليم لا يستطيع أن يقول بعد أن علم الا أن الحكم لله ، وأنه جل شأنه هو الحاكم فى هذا الكون مادام هو خالقه ومالكه ، وأن على البشر أن يتحاكموا الى ما أنزل ويحكموا به ، لأنهم من وجه قد استخلفـوا فى الأرض استخـلافـا مقيدا باتباع هدى الله ، ولأنهم من وجه آخر خلفاء لله فى الارض ، وليس للخليفة أن يخرج على أمر من استخلفه .

وقــد جاءت نصـــوص القـرآن مؤيدة لهذا المنـطق البشرى السليم ، فهى تلزم البشر باتبـاع ما جاء من عند الله ، وتحرم عليهم تحريما قاطعا اتباع ما يخالفه : ﴿ **اتبع ما أوحى اليك من ربـك لا اله إلا هو وأعرض عن المشركين** ﴾ (الأنعام : ١٠٦) ﴿ **اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء** ﴾ (الاعراف : ٣) .

وقد علمنا الله أن الحق شيء واحد لا يتعدد ، وأنه ليس فى الدنيا الا حق أو باطل ، وليس بعد الحق الا الضلال ﴿ **فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون** ﴾ . (يونس : ٣٢) . كما علمنا أنه أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ﴿ **انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا** ﴾ (البقرة : ١١٩) وأن الكتاب الذى أنزله عليه جاء بالحق : ﴿ **نزل عليك الكتاب بالحق** ﴾ (آل عمران : ٣) . ﴿ **انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق** ﴾ (النساء : ١٠٥) .

وإذا كان الله قد أرسل رسوله بالهدى ودين الحق : ﴿ **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق** ﴾ (التوبة : ٣٣) . فان الذين يستجيبون للرسول ولما جاء به انما يستجيبون للحق ويتبعون الهدى .

أما الذين لا يستجيبون للرسول ولما جاء به من الحق فقد علمنا الله أنهم يستجيبون للضلال ويتبعون أهواءهم ، وان أعظم الناس ضلالا هو من اتبع هواه ولم يهتد بهدى الله : ﴿ **فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله** ﴾ (القصص : ٥٠) .

وقد جعل الله ما أنزله على رسوله شريعة لنا ، وأوجب علينا أن نتبعها ونلتزم حدودها ، ونهانا عن اتباع تشريعات الناس وقوانينهم ، فما هى الا أهواؤهم وضلالاتهم يصوغونها تشريعات وقوانين يضلون بها البشر ويصرفونهم عن شريعة الله ، وهم مهما تعلموا وعلموا لا يعلمون شيئا فى جنب علم الله الذى أحاط بكل شىء علما ، والذى يعلم ما فيه هداية البشر وخيرهم : ﴿ **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون** ﴾ (الجاثية : ١٨) .

والشريعة التى أنزلها الله على رسوله وألزمنا اتباعها والعمل بها ليست الا كتاب الله الذى يقرؤه المسلمون ويستمعون اليه فى كل صباح ومساء ﴿ **وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون** ﴾ (الانعام : ١٥٥) ، وهذا الكتاب هو القرآن الكريم : ﴿ **كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون** ﴾ (فصلت : ٣) .

ولقد كان فى النصوص السابقة ما يكفى للقطع بأن الحكم فى البلاد الاسلامية يجب أن يكون طبقا للشريعة الاسلامية ، لان اتباع ما أنزل الله يقتضى أن يكون الحكم بما أنزل الله ، وأن

يكون الحكام قائمين على أمر الله ، ذلك أنه اذا استطاع البعض أن يتبعـوا أمـر الله فيما يتصـل بذواتهم وفيما هو فى أيديهم فما يستطيعون أن يتبعوا أمر الله فيما يتصل بغيرهم وفيما هو فى أيدى الغـير ، واذا استـطاعـوا أن يتبعـوا أمـر الله عنـد الاتفـاق فما يستطيعون أن يتبعوه عند الاختلاف ، واذا استطاعوا أن يتبعوا أمر الله فيما هو للأفراد فكيف يستطيعون أن يتبعوه فيما هو للحكام اذا لم يكن الحكام مقيدين باتباع ما أنزل الله ؟

وكـان يكفى أن نعلم أن الله أوجب علينـا عنـد التنـازع والاختلاف أن نتحاكم الى ما أنزل الله ونحكم فى المتنازع عليه والمختلف فيه بحكم الله ﴿ **فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول** ﴾ (النساء : ٥٩) ﴿ **وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله** ﴾ (الشورى : ١٠) كان يكفى أن نعلم هذا لنقطع بأنه الحكم لله ، وأن الحكام والمحكومين فى كل بلد اسلامى يجب أن يتقيدوا فى كل تصرفـاتهم واتجـاهاتهم باتباع ما أنزل الله ، وأن يجعلوا دستورهم الأعلى كتاب الله .

ولكن الله جل شأنه ، وهو أعلم بالانسان ، وبأنه أكثر شىء جدلا جاءنـا بنصـوص لا سبيل فيهـا الى جدال أو استنتاج ،

يقضى أن الحكم لله فى الدنيا وفى الآخرة « **هو الله لا اله الا هو له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون** » القصص : ٧٠ : وتبين لنا أن الله لم يرسل الرسل الا مبشرين ومنذرين ، ولم ينزل الكتب ألا ليتخذها الناس دستورا فى حياتهم الدنيا ، يحكمونها ويحكمون بمقتضاه فى كل شؤونهم « **كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه** » البقرة : ٢١٣ .

ومن هذه النصوص القاطعة نعرف أن الله أنزل القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليكون دستور البشرية وقانونها الأعلى ، وليقضى الرسول بين الناس على مقتضى أحكامه كما علمه الله « **أنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله** » النساء : ١٠٥ .

ونعرف أن الله جل شأنه نفى الايمان عن العباد وأقسم بنفسه على ذلك حتى يحكموا الرسول فيما يشجر بينهم ليحكم فيه بحكم الله ، ولم يكتف الله تعالى فى اثبات الايمان لهم بهذا التحكيم المجرد بل اشترط لاعتبارهم مؤمنين أن

ينتفى عن صدورهم الحرج والضيق من قضاء الرسول وحكمه ، وأن يسلموا تسليما وينقادوا انقيادا لما حكم به ، ولن يحكم الا بما أنزل الله وبما أراه اياه ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾ (النساء : ٦٥) .

ومن هذه النصوص القاطعة نعرف أن الله أمر أن يتحاكم الناس الى ما أنزله على رسوله ويحكموا به ،وأنه تعالى حذر من اتباع الاهواء والحكم بها ، وأمر أن يكون الحكم كله مطابقا لما أوحى به ، كما حذر الحاكم من أن يترك بعض ما أنزل الله أو أن يفتن عنه ﴿ **فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق** ﴾ (المائدة : ٤٨) ﴿ **وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك** ﴾ (المائدة : ٤٩) . ﴿ **وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق** ﴾ (الرعد : ٣٧) .

ومن هذه النصوص نعرف أن الله جعل الحكم بما أنزله أحسن حكم وأفضله ، وانه نسب الحكم بما أنزل الى نفسه فجعله حكم

الله وانه جعل الحكم بما عداه حكما جاهليا يقوم على الباطل وانـه وصف من يبتغى غير حكم الله بأنه يبغى حكم الجاهلية القـائم على الأهـواء والضلال ﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** ﴾ (المائدة : ٥٠) .

ومن هذه النصوص القاطعة نعرف أن الله حرم الحكم بغير ما أنـزل ، كـما حرم عليهم الكفـر والـظلم والفسوق والعصيان ، وجعل من لم يحكم بما أنزل الله كافرا وظالما وفاسقا ، فقال جل شأنـه ﴿ **ومن لم يحكم بما أنـزل الله فأولئـك هم الكافرون** ﴾ (المـائـدة : ٤٤) . ﴿ **ومن لم يحكم بما أنـزل الله فأولئـك هم الظالمون** ﴾ (المائدة : ٤٥) : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾ (المائدة : ٤٧) .

ولقـد عبر القـرآن عن الكفر بلفظ الظلم ، من ذلك قوله تعالى ﴿ **ان الشرك لظلم عظيم** ﴾ (لقـمان : ١٣) وقـولـه ﴿ **والكـافـرون هم الظالمون** ﴾ (البقرة : ٢٥٤) وقوله ﴿ **وما يجحد بآياتنا الا الظالمون** ﴾ (العنكبوت : ٤٩) كذلك عبر القرآن عن الكفر والظلم بالفسق من ذلك قوله تعالى ﴿ **ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفـاسقـون** ﴾ (البقـرة : ٩٩) . وقـولـه ﴿ **انهم كفروا بالله ورسـوله وماتوا وهم فاسقون** ﴾ (التوبة : ٨٤) . وقوله ﴿ **ومن كفـر بعـد ذلـك فأولئك هم الفاسقون** ﴾ (النور : ٥٥) وقوله

﴿ فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ (الأعراف : ١٩٥) .

واذا كان الظلم والفسق بمعنى الكفر فيكون فسق من لم يحكم بما أنزل الله وظلمه هو الكفر ، ويكون من لم يحكم بما أنزل الله كافرا فى كل الأحوال بنص القرآن .

ولكن بعض المفسرين يفسرون الظلم بالانحراف عن الحق ، ويفسرون الفسق بالعصيان ، ويجمعون بين الآيات الثلاث فى التفسير ، فيرون أن من يستحدث من المسلمين أحكاما غير ما أنزل الله ويترك الحكم بها كل أو بعض ما أنزل الله من غير تأويل يعتقد صحته ، فانه يصدق عليه ما قاله الله كل بحسب حاله ، فمن أعرض عما انزل الله لأنه يفضل عليه غيره من أوضاع البشر فهو كافر قطعا ، ومن لم يحكم به لعلة أخرى غير الجحود والنكران فهو ظالم ان كان فى حكمه مضيعا لحق أو تاركا لعدل أو مساواة ، والا فهو فاسق .

الحكم من طبيعة الاسلام

هذه بعض نصوص القرآن التى تعرضت للحكم ، وليس بعد ما ذكرنا حجة لمحتج ولا سبيل لجدال ، فليعرف المسلمون أحكام دينهم ونصوص شريعتهم ، ثم ليأخذوا عن بينة وليدعوا عن بينة ، اما أن ينطلقوا وراء تلاميذ المبشرين وأذناب المستعمرين ويدعوا مثلهم ان الاسلام لا علاقة له بالحكم ، ولم ترد فيه

نصوص عن الحكم فذلك هو الجهل المطبق والجدل المنكر ، وأى جهل أشد من جهل رجل يدعى لنفسه صفة لا يعرف ماهيتها ، فيدعى لنفسه الاسلام وهو يجهل حقيقة الاسلام ، وأى جدل أنكر من جدال جاهل يحتج على الناس بجهله ، ويريد منهم أن ينكروا ما علموه لأنه يجهله أو لا يريد أن يتعلمه ! .

ان الاسلام يلزم الناس باتباع ما أنزل الله ويوجب عليهم أن يتحاكموا إلى ما جاء من عند الله ويحكموا به وحده دون غيره ، وليس لذلك معنى الا ان الحكم هو الأصل الجامح فى الاسلام ، والدعامة الأولى التى يقوم عليها الاسلام .

ان كل من له المام بالاسلام يعلم حق العلم أن الحكم فى الاسلام تقضى به طبيعة الاسلام أكثر مما تقضى به نصوص القرآن ، ففى طبيعة الاسلام أن يسيطر على الأفراد والجماعات ويوجههم ويحكم تصرفاتهم ، وفى طبيعة الاسلام أن يعلو ولا يعلى عليه ، وأن يفرض حكمه على الدول ، وأن يبسط سلطانه على العالم كله .

ان الاسلام ليس عقيدة فقط ولكنه عقيدة ونظام ، وليس دينا فحسب ولكنه دين ودولة ، ومن المؤلم حقا أن يجهل أكثر المسلمين ذلك لأنهم يجهلون كل شىء عن حقيقة الاسلام ، ولا يعلمون عنه الا أنه عبادات يتلقونها عن طريق التقليد والمحاكاة .

الاســلام عقيدة ونظام

والاسلام عقيدة ومبدأ ما فى ذلك شك ولكنه ما كان عقيدة تعتقد ومبدأ يعتنق الا بعد أن استوى نظاما دقيقا شاملا ينظم كل شأن من شؤون النفس البشرية ، وينظم كل ما تحيط به النفوس من المعانى وما تدركه من المحسوسات ، سواء اتصلت بالأفراد أو الجماعات ، وسواء اتصلت بدنيانا التى نعيش فيها أو بالحياة الأخرى التى نرجوها حياة طيبة .

والاسلام كعقيدة هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ولكنه كنظام يسيطر على الانسان سيطرة تامة ويرسم له منهاجه فى الحياة وهدفه منها ، كما يرسم له طرائق العمل التى تؤدى الى السعادة فى الدنيا والآخرة .

الاسلام كنظام يسيطر على المسلم فى كل حركاته يسيطر عليه فى تفكيره ونيته ، وفى قوله وعمله ، يسيطر عليه فى كل سره وجهره وفى خلوته وجلوته ، يسيطر عليه فى قيامه وقعوده وفى نومه ويقظته ، يسيطر عليه فى طعامه وشرابه وفى ملبسه وحليته ، يسيطر عليه فى بيعه وشرائه وفى تصرفاته ومعاملاته ، يسيطر عليه فى جده ولهوه وفى فرحه وحزنه وفى رضاه وغضبه ، يسيطر عليه فى بنيه وأهله وفى صداقته وعداوته وفى سلمه وحربه ، يسيطر عليه فردا وفى جماعة وحاكما ومحكوما ومالكا وصعلوكا ، وليس ثمة تصرف يتصوره العقل أو حال يكون عليها الانسان الا سيطر فيها الاسلام على المسلم ووجهه الوجهة التى رسمها .

والذين يظنون أن الاسلام عقيدة وليس نظاما انما هم جهال لا يعلمون من الاسلام شيئا ، أو هم أغبياء لا يستطيعون أن يفقهوا حقيقة الاسلام ، فالاسلام فى حقيقته صبغة يصبغ الله بها عباده المؤمنين ﴿ **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة** ﴾ (البقرة : ١٣٨) . ولا يكون المسلم مسلما الا اذا اصطبغ بصبغة الاسلام ولون نفسه وأهله وتصرفاته وما يحيط به باللون الاسلامى الخالص .

وأجهل من هؤلاء وأشد غباء من يظنون أن مصلحة المسلمين فى أن يحافظوا على الاسلام عقيدة وينبذوه نظاما ، ذلك أن العقائد والمبادىء الاسلامية لا يمكن أن تعيش وتنتشر الا فى ظل النظام الاسلامى الذى تكفل بوضعه الخلاق العليم .

ولست أدرى كيف يؤمن هؤلاء بالاسلام عقيدة ولا يؤمنون به نظاما ، أتراه عقيدة من عند الله ، ونظاما من عند غير الله ؟ ﴿ **قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا** ﴾ (النساء : ٧٨) .

ان الله الذى جعل الاسلام دينا هو الذى جعله عقيدة ونظاما ، وإن الله ليأبى على الناس أن يبتغوا لأنفسهم دينا غير هذا الدين ﴿ **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾ (آل عمران : ٨٥) .

ولقد أكمل الله الدين الاسلامى وأتم باكماله نعمته على الخلق ورضيه دينا للناس فما يجوز لهم أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه ، وما

يجوز لهم أن يرضوا لأنفسهم غير ما رضيه الله لهم ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** ﴾ (المائدة : ٣) .

واذا كان الله جل شأنه قد اختار الاسلام دينا ورضيه للناس عقيدة ونظاما . فكيف يكون لمؤمن أن يختار وقد حرم الله عليه الاختيار ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾ (الأحزاب : ٣٦) .

أفلا يعلم هؤلاء أن أحكام الاسلام لا تتجزأ ولا تقبل الانفصال ، وأن نصوصه تمنع عن العمل ببعضها واهمال البعض الآخر ، كما تمنع من الايمان ببعضها والكفر ببعض ، وان الله جل شأنه توعد من يفعل ذلك بالخزى فى الحياة الدنيا وبالعذاب الشديد فى الآخرة ﴿ **افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب** ﴾ (البقرة : ٨٥) .

ولقد تمنى قوم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترك الرسول بعض ما أنزل الله ليحكم بما يتفق مع أهوائهم ، فنزل الوحى يأمر الرسول بأن يتمسك بما أنزل الله ، ويحذره من اتباع أهواء هؤلاء الفساق ، ويعلمه أن تحكيم الأهواء هو حكم الجاهلية ، وأن أفضل حكم وأحسنه هو ما اختاره الله لعباده ﴿ **وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم**

أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ، فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾
(المائدة : ٤٩ ـ ٥٠) .

ان الذين يريدون أن يفصلوا بين العقيدة الاسلامية والنظام والاسـلام انما هم أعداء الاسلام عن عمد أو جهل ، فالنظام الاسـلامى أشبـه ما يكون بالآلة التى تنتج الكهرباء والعقيدة الاسـلامية هى النور الذى تعمل الآلة لانتاجه ، فاذا عطلت الآلة انقطع النور وانتهى الاسلام .

ان الدين الاسلامى يمتاز بأنه استطاع أن يوحد بين الأجناس والألوان والأمم ، وأن يوجههم جميعا وجهة واحدة ، وأن يحملهم على نهج واحد وغاية واحدة ، وما استطاع الدين الاسلامى أن يصل لهذا الا لأنه عقيدة ونظام .

ولقد جاءنا الاسلام بعقائد معينة ولكنه لم يأتنا بها مجردة ، وانما أتى معهـا بالنـظام الـذى تقـوم عليه وتحيا به ، وألـزمنا اتباعه والتزامه ، وهو نظام دقيق من التربية والتوجيه ، يشمل كل شىء كما قدمنا ، ويتدخل فى كل حالة من حالات الانسان ، وينتقل بالفرد من مرحلة الى مرحلة حتى ينتهى به الى مرحلة التخلى عن أنـانيتـه وأهـوائه ، ويصل به الى مرحلة التجرد لخدمة المبادىء القرآنية والفناء فيها .

وهكـذا يربى الاسـلام المسلمـين تربية واحدة ، ويوجههم

توجيها موحدا ، ويجردهم لخدمة أهداف واحدة ، فما يطلبه أحدهم هو ما يطلبه الآخر ، وما تعمل له مجموعة منهم هو نفسه ما تعمل له كل مجموعة أخرى ، وما يأمله صغيرهم هو ما يأمله كبيرهم ، وما يضر أحدهم يضر مجموعهم ، فهم على تعدد أشخاصهم وتباعد بلادهم نفس واحدة ، وقلب واحد ، ورجل واحد ، وعلى هذا الأساس شبه الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بالجسد الواحد اذا شكا منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

واذا كان الاسلام فى حقيقته عقيدة ونظاما ، فان طبيعته تقتضيه أن يكون حكما ، ذلك أن قيام العقيدة يقتضى قيام النظام الذى أعد لخدمتها ، ولا يمكن أن يقوم النظام الاسلامى الا فى حكم اسلامى يماشى النظام الاسلامى ويؤازره ، اذ أن كل حكم غير اسلامى لابد أن يؤدى الى تعطيل النظام الاسلامى ، واذا كان قيام النظام الاسلامى يقتضى قيام حكم اسلامى فمعنى ذلك أن الحكم الاسلامى من مقتضيات الاسلام أو هو من طبيعة الاسلام .

الاسلام دين ودولة

والاسلام ليس دينا فحسب وانما هو دين ودولة وفى طبيعة الاسلام أن تكون له دولة ، ولو حذفنا النصوص الصريحة التى أوردناها فيما سبق والتى توجب الحكم بما أنزل الله ، لما غير ذلك

شيئـا من طبيعـة الاسلام التى تقتضي قيام الحكم الاسلامى والـدولة الاسلامية ، فكل أمر فى القرآن والسنة يقتضى تنفيذه قيام حكم اسـلامى ودولـة اسـلامية تقوم على أمر الله ، وقيام الاسلام نفسه فى الحدود التى رسمها الله وبينها الرسول يقتضى قيام دولـة اسـلامية تقيم الاسـلام فى حدوده المرسومة ، وذلك منطق لا يجحده الا مكابر ، اذ أن الاسلام لا يمكن أن يقوم على وجهه الصحيح فى ظل دولة غير اسلامية لا يهمها أن يقام ولا يضرها أن ينتقص منه ولا يمنعها شىء من تعطيله أو الانحراف به ، وانما يقوم الاسلام على وجهه الصحيح فى ظل دولة تقوم على مبادىء الاسلام ، وتتقيد بحدوده .

وأكثر ما جاء به الاسلام لا يدخل تنفيذه فى اختصاص الأفراد وانما هو من اختصاص الحكومات وهذا وحده يقطع بأن الحكم من طبيعة الاسلام ومقتضياته وان الاسلام دين ودولة .

فالاسـلام قد أتى بتحريم كثير من الأفعال ، واعتبر اتيانها جريمة يعاقب عليها ، وفرض لهذه الجرائم عقوبات ، ومن هذه الجـرائم القتل العمد وعقوبته القصاص : ﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصـاص فى القتـلى** ﴾ (البقـرة : ١٧٨) والسرقة وعقـوبتها قطع اليد : ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما** ﴾ (المائـدة : ٣٨) . والقـذف وعقوبته الجلد : ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة** ﴾ (النور : ٤) . ولا جدال فى أن تحريم الأفعال واعتبارها جرائم

وفرض العقوبات عليها انما هو مسائل الحكم ومن أخص ما تقوم به الدولة ، ولو لم يكن الاسلام دينا ودولة لما سلك هذا المسلك .

ولا شك أن القرآن لم يأت بالنصوص الخاصة بالجرائم عبثا ، وانما جاء بها لتنفذ وتقام ، واذا كان القرآن قد أوجب على المسلمين اقامة هذه النصوص وتنفيذها ، فقد أوجب عليهم أن يقيموا حكومة ودولة تسهر على اقامة هذه النصوص ، وتعتبر تنفيذها بعض ما يجب عليها .

والاسلام يوجب المساواة بين الناس فى قوله تعالى : ﴿ **يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ (الحجرات : ١٣) . وفى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الناس سواسية كأسنان المشط الواحد لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » واخذ الناس بالمساواة داخل فى اختصاص الحكومات ولا يدخل فى اختصاص الافراد .

والقرآن يوجب العدالة فى الحكم : ﴿ **واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** ﴾ (النساء : ١٣٥) . والعدالة فى الحكم من أخص شؤون الحكومات والدول .

والاسلام يحرم الاحتكار فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يحتكر الا خاطىء » . ويحرم الربا فى قوله تعالى : ﴿ **وأحل الله البيع وحرم الربا** ﴾ (البقرة : ٢٧٥) . ويحرم استغلال النفوذ والرشوة فى قوله تعالى : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم**

بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون ﴾ (البقرة : ١٨٨) . وتحريم الاحتكار والربا والاستغلال والرشوة من أول ما تعمل له الحكومات الصالحة ومن أهم اختصاصاتها .

والاسلام يفرض ضرائب على الاموال : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ (التوبة : ١٠٣) . ويفرض فى أموال الأغنياء حقوقا للفقراء ﴿ **والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم** ﴾ (المعارج : ٢٤) . ويحمل الثروات أحمالا من الضرائب التى تنفق فى سبيل الله وعلى ذوى الحاجة على ما رأينا فى فصل المال ويقيد من فى يديهم المال بقيود شتى ، وكل هذا من أخص أعمال الحكومات فى أقدم العهود وأحدثها ، بل هو أهم ما يقيم الحكومات ويسقطها .

والاسلام يوجب أن يكون الحكم شورى بقوله تعالى : ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ (الشورى : ٣٨) . وقوله : ﴿ **وشاورهم فى الأمر** ﴾ (آل عمران : ١٥٩) . واقامة حكم الشورى تقتضى قيام حكم اسلامى ودولة اسلامية ، ولو لم يكن الاسلام دينا ودولة لما تعرض لشكل الحكومة وبين نوعها .

والاسلام بعد ذلك قد جاء بنصوص يصعب حصرها تنظم صلات الأفراد بالحكومات ، وصلة الحكومات بالأفراد وتنظم التصرفات والمعاملات من بيع وايجار وهبة ووصية وزواج وطلاق

الى غير ذلك ، وتنظم الادارة والاقتصاد ، وتحكم الفتن الداخليه والمنازعات الدولية ، والسلم والحرب والصلح والمعاهدات ، وتحكم كل شأن من شئون الأفراد وشئون الجماعات ، وتقيم الجماعة على أساس من المساواة والتعاون والتضامن الاجتماعى ، وهذه النصوص فى مجموعها تكون دستورا للحكم يبذ كل دستور وضعى عرف حتى الآن ، وتكون شريعة تحكم كل التصرفات هى أسمى ما عرف الى اليوم من تشريعات ، وكل هذه أمور لا يقوم عليها ولا يمكن أن يضطلع بها الا الحكومات والدول ، فاذا جاء بها الاسلام وأوجبها ، فقد جاء بالحكومة وأوجب قيام الدولة ، ما يجادل فى ذلك عاقل ولا يستسيغ غيره عقل .

واذا ما قلنا ان الاسلام دين ودولة ، فقد يذهب الظن بالبعض الى أن الاسلام يفرق بين الدين والدولة ، وهذا ظن خاطىء ، فان الاسلام مزج الدين بالدولة ، ومزج الدولة بالدين ، حتى لا يمكن التفريق بينهما ، وحتى أصبحت الدولة فى الاسلام هى الدين ، وأصبح الدين فى الاسلام هو الدولة .

فالاسلام يقيم شئون الدنيا كلها على أساس من الدين ، ويتخذ من الدين سندا للدولة ووسيلة لضبط شئون الحكم وتوجيه الحكام والمحكومين .

والدولة المثالية فى الاسلام هى الدولة التى تقيم أمور الدنيا بأمر الدين ، فتأخذ رعاياها بما أمر الله ، وتمنعهم عما نهى الله .

﴿ الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾ (الحج : ٤١) .

والـدين فى الاسـلام ضرورة للدولـة ، والدولة ضرورة من ضرورات الدين فلا يقام الدين بغير الدولة ، ولا تصلح الدولة بغير الدين .

الحكومة الاسلامية

وظيفتها ومميزاتها

* الحكومة التى تقيم أمر الله
* منطق التجارب
* وظيفة الحكومة اقامة أمر الله
* مميزات الحكومة الاسلامية :
  - حكومة قرآنية
  - حكومة شورى
  - حكومة خلافة أو امامة
* نوع الحكومة الاسلامية

الحكومة التى تقيم أمر الله

اذا كان الله جل شأنه قد أوجب علينا أن نتحاكم الى ما انزل على رسوله ، وأن نحكم به ، فقد وجب على المسلمين أن ينصبوا عليهم حكومة تقيم فيهم أمر الله وترعاه ، ويتعبد أفرادها باقامة الحكم طبقا لما أنزل الله كما يتعبدون بالصوم والصلاة .

والأصل فى الحكومات انها ضرورة اجتماعية لا مفر منها ، فاذا كان الحكم يتميز بصفات معينة ، فقد وجب أن تتصف الحكومة القائمة عليه بنفس هذه الصفات ضمانا لنجاح الحكم ، فما يستطيع فاقد الشىء أن يعطيه ، وما يحسن القيام على الفكرة الا مؤمن بها .

وعلى هذا فاذا وجب أن يقوم الحكم طبقا لشريعة الاسلام فقد وجب أن تكون الحكومة اسلامية ، يؤمن أفرادها جميعا بالمبادىء التى يقوم عليها الحكم ويحرصون على العمل بها .

واذا وجب أن يكون الحكم اشتراكيا فمن البلاهة أن يترك الحكم لمن لا يؤمنون بالاشتراكية .

واذا وجب أن يكون الحكم ديمقراطيا فلن يصلح له حكام يؤمنون بالديكتاتورية .

ذلك هو منطق الناس ، وتلك هى طبائع الأشياء ، فمن أراد أن يقيم الاسلام بحكومة تتحاكم الى غير شريعة الاسلام فانما يعمل على تحطيم الاسلام .

منطـــق التجــارب

ولقد أثبتت التجارب فى البلاد الاسلامية أنه لا يكفى لاقامة الاسلام أن يكون الحكام مسلمين ، وانما يجب أن يتحاكموا الى الاسـلام ، ويتخـذوا القـرآن دستورا للحاكمين والمحكومين ، وأمـامنـا البلاد الاسلامية كلها ليس فيها بلد واحد يقيم حكم الاسلام ويخضع له فى كل الشؤون بالرغم من أن حكامها وأغلب سكانها من المسلمين .

بل لقد أثبتت التجارب أن الحكام المسلمين الذين يجهلون الاسلام ولا يعملون على اقامة احكامه كانوا ومازالوا حربا على الاسـلام وآلة طيعة فى يد أعداء الله الذين يكيدون للمسلمين

والاسلام ، وفى عهود هؤلاء الحكام الجهال استبيحت حرمات الاسلام فحرم ما أحل الله وأحل ما حرم الله ، وانتشر الفساد فى المجتمع الاسلامى وشاعت الفاحشة ، وانحسر مد الاسلام وذهبت ريحه ، وسيطر على بلاده وأهله من لم يكن يطمع فيهم بالأمس ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه .

هذا هو منطق البشر ومنطق الواقع ومنطق التجارب كل ذلك يقضى بأن قيام الحكم الاسلامى يستوجب أن تؤلف الحكومات ممن يؤمن بالنظام الاسلامى وممن لا هم لهم الا اقامة الاسلام وتثبيت دعائمه ، وسنرى فيما يأتى أن هذا هو منطق القرآن نفسه .

وظيفة الحكومة اقامة أمر الله :

ولقد جعل الاسلام وظيفة الحكومة الاسلامية اقامة الاسلام حيث افترض القرآن فى الحكومة الاسلامية أن تقضى على الشرك وتمكن للاسلام ، وأن تقيم الصلاة وتأخذ الزكاة ، وأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وأن تسوس أمور الناس فى حدود ما أنزل الله ، وذلك قوله تعالى « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا**

يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » النور . ٥٥ ، وقوله « **الذين ان مكناهم فى الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** » الحج : ٤١ .

والأمر بالمعروف هو الترغيب فى كل ما ينبغى قوله أو فعله طبقا للاسلام ، والنهى عن المنكر هو الترغيب فى ترك ما ينبغى تركه أو تغيير ما ينبغى تغييره طبقا لما رسمه الاسلام ، فاذا قامت الحكومة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد أقامت كل ما أمر به الاسلام وهدمت كل ما يخالف الاسلام .

ولقد أوجب علينا القرآن أن نطيع الحكام والحكومات ولكنه أوجب على الحاكمين والمحكومين اذا تنازعوا فى شىء أن يردوه إلى حكم الله ، وأن يحكموا فيه بما أنزل الله « **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم**(١) **فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول** » النساء : ٥٩ ، ورد المتنازع فيه إلى حكم الله يقتضى أن تكون الحكومة والحكام قائمين على أمر الله حاكمين بما أنزل الله على رسوله واعطاء المحكومين حق منازعة الحكام ورد المتنازع فيه الى أمر الله يقتضى أن يكون الحكام مقيدين بأمر الله لا يسمح لهم بالانحراف عما أنزل الله .

واذا كانت الحكومات تقوم على طاعة المحكومين وكان من مبادىء الاسلام أن يطيع المحكومون أولى الأمر فيهم والقائمين على شئونهم من الحكام ، فان من مبادىء الاسلام أيضا أن يخلع المحكومون طاعة الحاكمين اذا ما خرج الحاكمون على طاعة الله وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

وبذلك ربط الاسلام طاعة المحكومين للحاكمين بطاعة الحاكمين لأمر الله ، فالحكومة الاسلامية يجب أن تقوم على أمر الله وليس لها بأى حال أن تنحرف عما أنزل الله والا فقدت حقها فى الطاعة وبالتالى حقها فى الحكم .

واذا كان حق الحكومة فى الطاعة وفى الحكم ثابتا كلما كانت نازلة على أمر الله فيتعين أن تكون وظيفتها هى القيام على أمر الله والعمل بكتابه .

(١) يفسر البعض أولى الأمر بالحكام ويفسر غيرهم بأهل الشورى .

مميزات الحكومة الاسلامية

تختلف الحكومة الاسلامية عن كل حكومة موجودة فى العالم الآن ، وعن كل حكومة وجدت من قبل ، فهى حكومة فريدة فى نوعها متميزة عن كل حكومة غيرها .

وتتصف الحكومة الاسلامية بثلاث صفات لا توجد فى غيرها من الحكومات فهى أولا : حكومة قرآنية ، وهى ثانيا : حكومة شورى ، وهى ثالثا : حكومة خلافة أو امامة .

الصفة الأولى حكومة قرآنية

تتميز الحكومة الاسلامية بأنها حكومة قرآنية أى أنها خاضعة للقرآن وهو الكتاب الذى أنزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

والقرآن هو دستور الحكومة الاسلامية الأعلى ، يحكم تصرفاتها ويحدد حقوقها وواجباتها بصفة عامة ، ويرسم لها الخطوط والمناهج العامة التى لا يصح لها أن تتعداها ، ويدع لها ما دوّن ذلك من المناهج والتفصيلات . كما أن القرآن

في الوقت نفسه يبين حقوق الأفراد وواجباتهم ، ويحدد علاقتهم بالحكومة ومدى سلطانها عليهم ومدى خضوعها لسلطانهم .

ويتميز القرآن بميزات متعددة تخالف بينه وبين أى دستور آخر عرفه البشر ، ويهمنا من هذه الميزات ما يأتى :

١ – أنه كلام الله أوحى به إلى نبيه محمد النبى الأمى ليبلغه للناس نورا ويخرجهم به من الظلمات وهدى يعصمهم من الضلال « **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء إنه على حكيم . وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات والأرض ألا الى الله تصير الأمور** » الشورى : ٥١ – ٥٣ . « **وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا** » الشورى : ٧ « **وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ** » الأنعام : ١٩ .

٢ – ان المسلمين مكلفون باتباع ما جاء به القرآن وبالاستمساك به ، وليس لهم أن يخرجوا عليه بأية حال .

﴿ واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ (الاحزاب : ٢) . **﴿ فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم ﴾** (الزخرف : ٠٠) **﴿ اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ﴾** (الأعراف : ٣) **﴿ اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين ﴾** (الأنعام : ١٠٦) .

٣ ـ ان القرآن لا يقبل التبديل ولا التعديل لأنه من عند الله ولا مبدل لكلمات الله **﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا ما يوحى الى ﴾** (يونس : ١٥) . **﴿ واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا ﴾** (الكهف : ٢٧) . **﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾** (الأنعام : ١١٥) **﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾** (يونس : ٦٤) .

٤ ـ ان القرآن لا يقبل الزيادة ولا يقبل النقص لأنه كمل وتم بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحى ، أو تم وكمل قبيل وفاته يوم أنزل الله قوله : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ (المائدة : ٣) .

٥ ـ ان القرآن لا يقبل النسخ ، لما سبق ، ولأن الله جل شأنه ختم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الرسالات ، وجعله خاتم النبيين .

﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ (الأحزاب : ٤٠) . ولأن البشر وهم مستخلفون فى الأرض ليس لهم ان يخرجوا على أوامر الله الذى استخلفهم ، وليس فى استطاعتهم أن ينسخوا كلامه أو يبطلوا العمل به ، فان فعلوا فعملهم باطل بطلانا مطلقا لخروجهم على حدود وظيفتهم وتعرضهم لما ليس من شأنهم .

ونستطيع أن ندلل على عدم قابلية القرآن للنسخ من وجه آخر ، وهو أن القاعدة الأساسية فى الشريعة الاسلامية وفى القوانين الوضعية هى أن النصوص لا ينسخها الا نصوص فى مثل قوتها أو أقوى منها ، أى نصوص صادرة من الشارع نفسه أو من هيئة لها من سلطان التشريع ـ على الأقل مثل ما للهيئة التى أصدرت النصوص المراد نسخها ، فالنصوص الناسخة للقرآن يجب أن تكون قرآنا من عند الله ، وليس بعد الرسول قرآن حيث انقطع الوحى ، ولا يمكن أن يقال ان ما يصدر من هيئاتنا التشريعية البشرية فى درجة القرآن أو أن لها من سلطان التشريع ما لله وللرسول ، وعلى هذا فليس فى طوق البشر أن ينسخوا كلام الله أو يعطلوا العمل به .

الصفة الثانية ـ حكومة شورى

جعل الله الشورى من لوازم الايمان ، حيث جعلها صفة من الصفات اللاصقة بالمؤمنين المميزة لهم عن غيرهم ﴿ **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ (الشورى : ٣٨) ، فلا يكمل ايمان المسلمين الا بوجود صفة الشورى فيهم ، ولا يجوز لجماعة مسلمة أن تقيم أو ترضى اقامة أمرها على غير الشورى والا كانت آثمة مضيعة لأمر الله .

وأمر الله رسوله أن يشاورهم في الأمر ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾ (آل عمران : ١٦٠) . وما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم لحاجة منه الى رأيهم ، وانما هى فريضة فرضها عليهم ، ففرض على الحاكم أن يستشير فى كل ما يمس الجماعة وفرض على الجماعة أن تبدى رأيها فى كل أمورها ، فليس للحاكم أن يستبد برأيه فى الشئون العامة وليس للجماعة أن تسكت فيما يمس مصالح الجماعة ، وهذا يتفق مع ما يفرضه القرآن من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ (آل عمران : ١٠٤) .

واذا كانت الشورى فريضة من الفرائض الاسلامية فانها ليست مطلقة بحيث تمتد الى كل أمر ، وانما تجب فقط فيما لم يقطع فيه القرآن والسنة برأى ، أما ما قطع فيه القرآن والسنة برأى فهو

خارج عن نطاق الشورى الا أن تكون الشورى فى حدود التنفيذ والتنظيم لما نص عليه القرآن وبينته السنة .

والشورى ليست مطلقة من كل قيد فيها تجب فيه ، وانما هى مقيدة بأن لا تخرج عن حدود ما جاء به القرآن والسنة ، فلا يجوز بأية حال أن تؤدى الشورى الى مخالفة نصوص التشريع الاسلامى أو الخروج على روح التشريع ، ويجب دائما أن تجىء الشورى مطابقة للتشريع الاسلامى ومتابعة لاتجاهاته وروحه .

والتقيد بالتشريع الاسلامى وباتجاهاته وروحه يقتضى أن يكون الحكام وأهل الشورى أو أكثرهم ، ممن يلمون بالتشريع الاسلامى ويفهمون روحه واتجاهاته ومعنى هذا أن تنحصر الشورى فيمن تتوفر فيهم صفات معينة .

الصفة الثالثة ـ حكومة خلافة أو امامة

رأينا فى باب الاستخلاف أن الله استخلف البشر فى الأرض وان الاستخلاف على ثلاثة أنواع : استخلاف عام ، واستخلاف دول ، واستخلاف أفراد ، وقلنا إن استخلاف الأفراد هو الاستخلاف فى الرئاسة ، وان المستخلف قد يسمى خليفة كما سمى داود عليه السلام ﴿ **ياداود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق** ﴾ (ص : ٢٦) ، وقد يسمى المستخلف اماما كما سمى ابراهيم عليه السلام وبعض رؤساء

بنى اسرائيل ﴿ **واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للنـاس امـامـا قال ومن ذريتى قال لا ينـال عهـدى الظالمين** ﴾ (البقرة : ١٢٤) ، ﴿ **وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا** ﴾ (الانبياء : ٧٣) ، وقد يسمى المستخلف ملكا ﴿ **واذ قال موسى لقـومـه يا قوم اذكـروا نعمـة الله عليكم اذ جعـل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا** ﴾ (المائدة : ٢٠) ﴿ **وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا** ﴾ (البقرة : ٢٤٧) .

والخلافة والامامة والملك لا يقصد منها فى نصوص القرآن الا الرئاسة بمعناها العام ، ولا يقصد منها الدلالة على نظام معين من أنظمة الحكم ، ذلك أن داود سمى فى القرآن خليفة وسمى ملكا ﴿ **ياداود انا جعلناك خليفة** ﴾ (ص : ٢٦) . ﴿ **وقتل داود جالوت وأتاه الله الملك** ﴾ (البقرة : ٢٥١) . كما أن ابراهيم سمى فى موضع اماما ووعد أن يكون المهتدون من ذريته أئمة ﴿ **قال انى جاعلك للنـاس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين** ﴾ (٠٠٠٠٠) بينما وصف ذريته فى موضع آخر بوصف الملوك ﴿ **فقـد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما** ﴾ (النساء : ٥٤) . ووعد بنو اسرائيل أن يكونوا أئمة بعد استضعافهم واستعباد فرعون لهم ﴿ **ونريد أن نمن على الذين استضعفـوا فى الأرض ونجعلهم أئمـة ونجعلهم الـوارثـين** ﴾ (القصص : ٥) . فلما تخلصوا من ظلم فرعون وكونوا لأنفسهم

دولة مستقلة أخذ موسى يذكرهم بنعمة الله عليهم ويقول لهم **﴿ اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا ﴾** (المائدة : ٢٠) : فالخلافة والملك والامامة مترادفات تدل على الرئاسة العليا للدولة ولا تدل على أكثر من ذلك .

ونظام الحكم الوحيد الذى يعرفه الاسلام هو الحكم القائم على دعامتين : احداهما : طاعة أمر الله واجتناب نواهيه ، والثانية : الشورى أى أن يكون أمر الناس شورى بينهم . فاذا قام الحكم على هاتين الدعامتين فهو حكم اسلامى خالص ، ولْيُسَمَّ بعد ذلك بالخلافة أو الامامة أو الملك فكل هذه التسميات صحيحة لا غبار عليها .

أما اذا قام الحكم على غير هاتين الدعامتين فهو حكم لا ينتسب للاسلام بنسب ولا يتصل به بسبب ولو سمى خلافة أو امامة ، وأقرب الأمثلة على ذلك حكم الخلفاء الأتراك فى عهودهم المتأخرة فقد كان رؤساء الدولة يسمون أنفسهم خلفاء وتسمى دولتهم دولة الخلافة وتسمى حكومتهم حكومة الخلافة ولكنهم كانوا هم ودولتهم وحكومتهم أبعد شىء من نظام الحكم الاسلامى .

ولقد استقر أمر العالم كله قبل أن يجىء الاسلام على أن يكون نظام الحكم الملكى وراثيا يتوارثه الأبناء عن الآباء ، وأصبحت لهذا النظام سمات وعلامات تميزه عن غيره من أنظمة الحكم ، فهو يتميز فضلا عن الوراثة بتعالى الملوك واستعلائهم المستمر على

الرعايا ، ويتميز بما يحيط الملوك أنفسهم من الترف الذى يهىء لسقوط الهمم وفساد الأخلاق وتفشى المنكرات ، ويتميز أخيرا بأنه يؤدى بطبيعته الى الفساد العام .

ولما كان هدف الاسلام هو الاصلاح والتسوية بين الناس وتوفير الخير واشاعته بينهم فقد كره لهم التعالى ، وحرم عليهم أن يريدوا الاستعلاء ، كما حرم عليهم كل ما يؤدى الى الفساد ، ونبه المسلمين الى أن هذه الصفات ليست من صفات المتقين المؤمنين فى شىء ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين** ﴾ (القصص : ٨٣) .

ولقد جاء الاسلام بالشورى ففرضها على المسلمين وألزمهم أن يجعلوا كل أمورهم شورى بينهم ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ (الشورى : ٣٨) : والشورى تقتضى أن تختار الأمة رئيس الدولة وأن تعزله اذا جد منه ما يستلزم عزله ، وهذا وحده يتنافى مع ما استقر عليه نظام الحكم الملكى من توارث الحكم .

ولأن نظام الحكم الملكى كان عندما جاء الاسلام متميزا بالوراثة وبالعلو فى الارض والافساد فيها فقد كره المسلمون أن يسموا أنفسهم ملوكا ، وكان أول من كره ذلك هو الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد روى عنه أنه قال لرجل وقف بين يديه فأخذته رعدة « هون عليك فما أنا بملك ولا جبار » وجرى على ذلك خلفاؤه من بعده ، حتى اذا أخذ معاوية البيعة لابنه يزيد أخذ أصحاب الرسول والتابعون يرمون معاوية خاصة وبنى أمية

عامـةً بأنهم حولـوا الحكم الاسـلامى الى ملك عضـوض والى حكومة كسروية ، أو هرقلية نسبة الى كسرى ملك الفرس وهرقل ملك الروم .

واذا كان التباين بين الحكم الاسلامى فى طبيعته ونظام الحكم الملكى فى أوضاعه المستقرة قد اقتضى المسلمين أن يكرهوا تسمية أنفسهم بالملوك وتسمية نظام الحكم بالملك ، فقد اقتضاهم أيضا أن يبحثـوا فى تسميات أخـرى ، فأسعفتهم النصوص القرآنية الـواردة فى استخـلاف الحكم بما يريدون فسمـوا نظام الحكم بالخلافة أو الامامة وسموا رئيس الدولة بالخليفة أو الامام .

وقد جرت العادة على أن تسمى امامة الحكم بالامامة العظمى تمييزا لها عما عداها من الامامات كامامة الصلاة ، وتبعا لذلك يسمى رئيس الدولة بالامام الاعظم أى الامام الذى ليس فوقه امام .

ويرى البعض ان لفظ الخلافة اختير لنظام الحكم الاسلامى وان رئيس الدولة سمى بالخليفة ، لأن من جاء بعد النبى صلى الله عليه وسلم خلف النبى فى رئاسة الدولة فسمى خليفته وسمى منصبه بالخلافة بدليل أن المسلمين كانوا ينادون أبا بكر بخليفة رسول الله ، وهذا فى الحقيقة ليس شيئا ولكنهم راعوا فى التسمية نصـوص القـرآن ، وسمـوا رئيس الدولة خليفة واماما متأثرين بالنصوص ، ولقد كان أبو بكر رئيس دولة فاعتبر بنص القرآن خليفة واماما ، وكان فى الوقت نفسه خليفة لرسول الله لانه خلفه فى الحكم .

والأصل أن البشر كلهم مستخلفون فى الارض استخلافاً عاما ، فهم نواب عن الله عز وجل فى الارض وعليهم أن يقوموا على أمره ونهيه ، ولكنهم لا يستطيعون أن يقيموا أمر الله على ما ينبغى اذا كانوا أفرادا لا تربطهم رابطة ، ولا يجمعهم سلطان يخضع له قويهم ويفىء اليه ضعيفهم ، كما أن طبيعة الاجتماع والضرورات الاجتماعية تقتضى أن يقيموا حكومة تفصل بينهم فى مشاكلهم وتنوب عنهم جميعا فى القيام بأمر الله ، وبما يرتبه عليهم واجب الاستخلاف فى الارض وواجب الاستخلاف فى الحكم .

واذا كانت الحكومة نائبة عن الجماعة لتقيم فيهم أمر الله ، ولتشرف على مصالح الجماعة ، وكان الخليفة أو الامام هو ممثل الحكومة الاول ، فانه يعتبر نائبا عن الجماعة كلها فى وظيفة الخلافة التى جعلت لاقامة ما يجب على بالجماعة كلها من أداء حق الله وانفاذ أمره ، وللفصل فى خصومات الافراد وكف قويهم عن ضعيفهم ونشر العدالة والمساواة بينهم ، واخذهم بالتعاون والتضامن وتوجيههم الى الخير والبر ، كل ذلك فى حدود ما أمر الله واجتناب ما نهى عنه .

ولا يعتبر الخليفة نائبا عن الله جل شأنه الا بقدر ما يعتبر أى فرد آخر على وجه الارض . واذا قيل ان الخليفة بنيابته عن الجماعة التى تنوب عن الله يعتبر النائب عن الله فانه يرد على ذلك بأن نيابة الخليفة عن الله فى هذا الوجه هى نيابة غير مباشرة ولم ينظر اليها فى اقامة الخليفة ، وما اقامت الجماعة الخليفة الا ليكون

نائبـا عنهـا ، ومـا استمد ولا يستمد سلطانه الا من نيابته عن الجماعة التى اقامته والتى تملك حق مراقبته ومنعه من الخروج على حدود نيابتـه ، بل للجـماعـة أن تقيد تصرفاته ، وان ترسم له الطريق التى يسلكها فى تأدية واجب النيابة عنها ، وقواعد النيابة تقضى بذلك ، كما ان الاسلام يفرضه على الناس حيث أوجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لمنع الحكام من الظلم والتعسف فى استعمال حقوقهم ، ولمنعهم من الاهمال عن أداء واجباتهم ، ولمـراقبـة الحكام والمحكومين فى اقامة أمر الله انفاذه على وجهه **﴿ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾** (آل عمران : ١٠٤) .

وولاية الخلافة لا تتم الا باختيار الجماعة للخليفة ، ليس ذلك لانه منطق الضرورات الاجتماعية الذى سبق بيانه ، ولكن لأن القــرآن فرض على المسلمــين أن يكـون أمـرهـم شورى بينهم **﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾** (الشورى : ٣٨) .

فلا يصح أن يستأثر بأمر المسلمين أحد بغير رضاء جماعتهم ، ولا تعتـبر ولاية الخليفة قائمة الا بالاختيار ممن لهم حق اختيار الخليفة ، وبالقبول من جانب الشخص الذى وقع عليه الاختيار .

واختيار الخليفـة على هذا الوجه يؤكد أن الخلافة ليست الا عقد نيابة يتم بين الجماعة والخليفة ، فتكل الجماعة الى الخليفة أن

يقوم فيها بأمر الله ، وان يدير شئونها فى حدود ما أنزل الله ، ويقبل الخليفة أن يقوم بالأمر فى الجماعة طبقا لما أمر الله .

وولاية الخلافة ليست محدودة بمدة معينة ، فما دام الخليفة قائما بأمر الله وعلى قيد الحياة فهو خليفة . فاذا خرج على أمر الله ، أو قامت فيه صفة تستوجب العزل كان للجماعة عزله وتولية غيره . واذا مات انتهت ولايته بموته .

نوع الحكومة الاسلامية

قلنا فيما سبق إن الحكومة الاسلامية فريدة فى نوعها ، متميزة عن غيرها ، وانها تختلف عن كل حكومة موجودة فى العالم الآن ، وعن كل حكومة وجدت من قبل ، وسنبين فيما يلى ان الحكومة الاسلامية لا يمكن ادخالها تحت أى نوع من أنواع الحكومات التى عرفها العالم ، وانها حكومة لا مثيل لها .

فالحكومة الاسلامية كما عرفنا مقيدة باتخاذ القرآن دستورا لها وملزمة بالنزول على أحكامه التى لا تقبل تبديلا ولا تعديلا ولا تعطيلا ، فهى بذلك ليست من نوع الحكومات المستبدة المطلقة من كل قيد ، كما أنها ليست من نوع الحكومات القانونية ، لأن الحكومات القانونية تخضع لقوانين وانظمة يضعها البشر وهم متأثرون بأهوائهم وشهواتهم ، والقوانين والانظمة التى يضعها البشر قابلة للتبديل والتعديل والالغاء اذا ما قضت بذلك أهواء البشر وشهواتهم . أما أحكام القرآن فهى من عند الله ، وهى

دائمة الى الابد لا تماشى أهواء الحكام ولا أهواء المحكومين ، وانما تعدل بين الفريقين وتوفى كلا حقه فى حدود العدل الخالص مع حفظ مصلحة الجماعة .

ولتكـون المـوازنـة كاملة ينبغى أن نعلم أن نصوص القرآن جاءت بالاحكـام الكلية ، ورسمت المنـاهـج العـامة للحكم والادارة ، وتـركت ما دون ذلـك لاولى الامـر ينظمونه بقوانين يضعونها ، ولكن هذه القوانين ، وهى من وضع البشر يجب أن يراعى فيهـا ألا تخرج على أحكام الاسلام العامة ، وان تكون تطبيقـا دقيقـا لروح الشريعـة الاسلامية ، فهذه القوانين التى يضعهـا أولو الامر ليست فى الحقيقة الا صدى القرآن وظله ، وهناك فرق كبير بينها وبين القوانين التى يضعها البشر غير مقيدين الا بآرائهم وأهوائهم ومصالحهم .

واذا كان من أخص صفات الحكومة الاسلامية انها حكومة شورى فانها لا تشبه فى شىء الحكومات النيابية ، كما أنها تخالف فى طبيعتها الحكومات غير النيابية ، اذا كان أساس الحكومات النيابية فى العـالم هو الشـورى الا أن الشـورى فى الحكـومـة الاسلامية لا تشبه فى شكلها ، ولا نوعها ، ولا الغرض منها ، تلك الشورى التى تقوم عليها الحكومات النيابية .

واذا كان من وظيفة الحكومة الاسلامية ان تقيم الدين فانها لا تعتبر من نوع الحكومات الدينية التى يسميها الفقه الدستورى حكـومـات تيوقـراطية ، اذ ان الحكـومـة الاسلامية لا تستمد

سلطانها من الله وانما تستمده من الجماعة . وهى لا تصل للحكم ولا تنـزل عنـه الا برأى الجـماعـة . وهى مقيدة فى كل أعمالها وتصرفاتها برأى الجماعة . والتزام الحكومة حدود الدين الاسلامى لا يغـير من هذه النتيجة شيئا ما ، لأن الدين الاسلامى يدعو الناس أن يعملوا لدنياهم قبل أن يدعوهم ليعملوا لاخراهم ، بل أنه يرتب الحياة الاخرى على ما يعمله المرء فى حياته الدنيا فهو دنيا قبـل أن يكون دينا ، وهو أولى قبل أن يكون آخرة ، واذا كان الاسلام قد حد للناس حدودا لا يتعدونها ، ووضع لهم أحكاما ألـزمهم اتباعها فانه لم يسلبهم حريتهم فى العمل ، ولم يملك عليهم كل امرهم ، بل ترك لهم ان يفكروا فى أنفسهم وأن يدبروا حياتهم وأن يعملوا بوسائلهم ، وترك لهم ان ينظموا أنفسهم وأن يدبـروا حياتهم وأن يعملوا بوسـائلهم ، وتـرك لهم ان ينـظموا أنفسهم وأن يرعـوا مصـالحهم الخـاصـة والعـامة ، وان يعدوا لمستقبلهم ما يشاءون من الخطط التى تؤدى الى رقيهم واسعادهم وتفوقهم .

ونستطيع أن نقول فى غير تجوز إن الاسلام ترك للبشر الحرية كاملة فيها يأخذون وما يدعون ، ولم يقيدهم الا بأن تكون حياتهم قائمـة على الفضـائـل حتى يحيوا حياة فاضلة تسـودها العدالة والمساواة والحب والتضامن وغير ذلك من المبادىء الانسانية العليا التى جاء بها الاسلام والتى يدعى العالم كله انه يعمل لتحقيقها وما يستطيع أن يحققها بعد أن انسلخ عن الدين واتبع الاهواء

والشهـوات ، تلك المبـادىء التى يتطلع العالم اليها ويعلم أن صلاحه يتوقف عليها ، تلك المبادىء التى نسميها انسانية وما عرفها أهل الارض الا عن طريق السماء ورسالات الانبياء .

ولقد فرض الله الشورى على المسلمين وجعلها عمادا لحياتهم العامة ، ولو كانت الحكومة الاسلامية حكومة تيوقراطية لما كانت الشورى ، ولما ألزم الله رسوله ان يشاورهم فى الامر ﴿ **وشاورهم فى الأمر** ﴾ (آل عمران : ١٥٩) . وهو فى غنى عن مشاورة البشر بالوحى الالهى ، ولما ألزم الرسول نفسه نتائج المشورة المخالفة لرأيه الخـاص كما فعـل فى غزوة بدر وغـزوة أحـد وغـيرهما من المـواقف ، وانـما الـزم الله رسـوله المشورة ليضع للناس قواعد الشورى ، وألزم الرسول نفسه بنتاج المشورة ليسن لمن بعده أن يلتزم بنتائجها ويتقيد بها .

ولـو كانت الحكـومـة الاسلامية تيوقراطية لكان للخليفة أن يفعل ما يشاء ويترك ما يشاء ، ولكن الخليفة وكل حاكم اسلامى مقيد ، فيما ورد فيه نص ، بنصوص القرآن والسنة ، وفيما لم يرد فيه نص بما تسفر عنه الشورى .

واذا كان نظام الحكم الـديمقـراطى يشبـه نظام الحكم الاسلامى فيما يوجبه من اختيار الحكام بمعرفة ممثلى الامة وفيما يوجبه من اختيار الحكام بمعرفة ممثلى الامة وفيما يوجبه من قيام الحكم على العـدل والمسـاواة وفيما يطلقـه من حرية العقـول والافكار ، فان نظام الحكم الاسلامى يختلف عن الديموقراطية

فى انه يقيد الحاكمين والمحكومين بقيود تمنعهم من الانطلاق وراء الاهواء وتحول بينهم وبين الخضوع للشهوات ، كذلك يختلف الاسلام عن الديموقراطية فى أنه لا يترك مقاييس العدالة والمساواة أو غير ذلك من الفضائل الانسانية فى يد البشر يرسمون حدودها فيوسعونها تارة ويضيقون منها أخرى نزولا على أهوائهم وخضوعا لشهـواتهم ، وانـما يرسم الاسـلام حدود الفضـائـل والمبـادىء الانسانية ويضع مقاييسها ويخضع البشر لهذه المقاييس العلوية ، وبذلك حمى الاسلام الحياة العامة من الفساد ، وكبح الاهواء ، واقام الحكم على أسس من الفضيلة يسلم بها الجميع ويحترمونها ولا يأنفون من الخضوع لها .

اما الديموقراطية فتترك للبشر أن يرسموا حدود كل شىء وان يضعـوا المقـاييس للحياة البشرية ومن ثم جمحت بهم الاهـواء والشهوات وتغلبت عليهم المصالح والمنافع وانقلبت المجتمعات الـديمـوقراطية الى مجتمعات متحللة فاسدة تشيع فيها الرذائل وتعيش على مسخ المعانى السامية والفضائل الانسانية ، فالعدالة تقاس بمقياس القرابة والزلفى ، والحقوق لا تصل لاربابها الا عن طريق الرشوة والمحسوبية ، والتحرر العقلى معناه الانطلاق من الحياء والدين والاخلاق وهدم كل ما يميز الانسان العاقل عن الانعام والسوائم .

واذا كان النظام الجمهورى يشبه النظام الاسلامى من حيث

اختيار الرئيس الاعلى للجمهورية فانه لا يوجد أى نظام جمهورى يسمح بانتخاب رئيس الدولة لمدى الحياة كما يسمح بذلك النظام الاسلامى ، فضلا عما سبق بيانه من وجوه الخلاف بين النظام الاسلامى والانظمة الديموقراطية .

وليس بين النظام الاسلامى وبين الأنظمة الديكتاتورية أى وجه من وجوه المشابهة ، فالنظام الاسلامى يقوم على البيعة والشورى ، وعلى حدود مرسومة بين الحاكمين والمحكومين ، وعلى جواز عزل الحاكم ، ولا تسمح الانظمة الديكتاتورية بشىء من ذلك .

ويختلف نظام الحكم الاسلامى عن أنظمة الحكم الملكية ، فما يورث الحكم والسلطان فى الاسلام ، وانما يترك للجماعة أن تختار للحكم من تراه أصلح الناس له وأقدرهم عليه ، وحسبنا دليلا على ذلك أن النبى لقى ربه فما تولى الحكم بعده أحد من أهله وانما خلفه أبو بكر ، فلما توفى لم يخلفه أحد من أهله وانما خلفه عمر ، فلما قتل خلفه عثمان وهو من غير أهله فلما قتل خلفه على وما كان من أهل عثمان .

واخيرا فان كل من يحاول الادعاء بأن نظام الحكم الاسلامى يماثل نظاما معينا من أنظمة الحكم التى عرفها العالم قديما وحديثا فانما يتكلف ويدعى مالا يعلم ويبعد عن الحق ، فالنظام الاسلامى نظام فريد فى نوعه أوجده الاسلام ولم يحاول أحد أن يقلد المسلمين فيه ، بل ان المسلمين أنفسهم لم يطبقوا النظام

الاسـلامى بعد وفاة النبى إلا فى عهد الخلفاء الراشدين ، ثم حولت الأهواء هذا النظام الإلهى الى ملك عضوض لا يتورع أن يعـطل أحكـام الاسـلام ، ويحـل حرمات الله ليمكن الفساق والظلمة من رقاب المسلمين .

رقم الايداع ١٩٧٧/٣٥٦٥
الترقيم الدولى ١ - ٠٩ - ٧٠١١ - ٩٧٧